

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

(٢٠)

٢٠٠٢

العدد الرابع

المجلد الخامس

رئيس التحرير

أ.د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

مدير التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

نائب رئيس التحرير

أ.د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

أ.د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

المستشارون العلميون

أ.د. جوزيف ديشى (ليون ٢) أ.د. عبده على الراجحى (الاسكندرية)

أ.د. حسن حمزة (ليون ٢) أ.د. كمال محمد بشر (القاهرة)

أ.د. حمزة المزينى (الرياض) أ.د. مانفرد فويدخ (أمستردام)

أ.د. رنيف جورج خورى (هيدلبرج) أ.د. محمد عونى عبد الرؤوف (عين شمس)

أ.د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)

أ.د. فولفديترش فيشر (ارلانجن) أ.د. صلاح الدين صالح (بنى سويف)

شماره ثبت ٩٠٨٣٣

تاريخ ١٣٨٤/٥/٢٥

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علم أصول الفقه

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

نوع ٢٠٠٢

حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يُسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته، أو اختراجه في أي شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات، إلا بإذن كتابي من الناشر. قيمة الاشتراك السنوي:

(داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ جنيهاً مصرياً

(خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

٨٠ دولاراً أمريكياً

سعر العدد

(داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ جنيهاً مصرياً

(خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

٢٠ دولاراً أمريكياً

استغفار خاصة للطلبة

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
- ظواهر صوتية فى كتاب البيان فى غريب القرآن لابن الأنبارى	٩
د. قبارى محمد شحاته	
- حروف العلة «دراسة لغوية»	١٢٥
د. عبد الحميد عليوة مسعد	
- مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوى عند سيبويه	١٨٣
د. فكرى محمد سليمان	



مركز تحقيقات لىقوىة ودراسات فى اللغة وادب العربى

حروف العلة

دراسة لغوية

د. عبد الحميد عليوة مسعد

قسم اللغة العربية - كلية الآلسن -
جامعة عين شمس

١- مدخل إلى حروف العلة :

درج اللغويون العرب على إطلاق اسم : حروف العلة على حروف : الألف والواو والياء ، من بين حروف العربية الثمانية والعشرين ، وإطلاق اسم : الأفعال المعتلة على تلك الأفعال التي تشتمل على أى من هذه الحروف الثلاثة ، سواء جاء واحد منها فى أولها ، أو فى وسطها ، أو فى نهايتها ، وسواء حوت تلك الأفعال حرفاً واحداً منها ، أو أكثر من حرف . أما بقية حروف العربية ، فأسموها بالحروف الصحيحة ، أو بالصوامت الصحيحة ، والأفعال التي لا تشتمل على أى من الحروف الثلاثة . سموها بالأفعال الصحيحة ، أو السالمة . معنى ذلك ، أن ثمة ما يقسم أصوات اللغة إلى صوامت ، وإلى علل . ويتأمل ذلك الفارق نجد أن الصفة الأساسية التي تختص بها هذه الأصوات المعتلة ، وتفرقها عن الأصوات الأخرى غير المعتلة ، هي حرية مرور الهواء فى أثناء إصدار هذه الأصوات ، ودون أن تعترضه عوائق فى مجرى الفم : من غلق ، أو تضيق ، أو انحراف ، أو تكرير ، أو تحول من الفم إلى الأنف . . . ، أو غير ذلك من العوائق التي تحدث مع بقية الأصوات الأخرى غير المعتلة .

وبمعنى آخر، إن هذه الأصوات الثلاثة تشبه الحركات فى أهم صفة من صفاتها، وهى حرية مرور الهواء من مجرى الفم، ودون اعتراض. لكن هذا الوصف لها، لايعنى أنها حركات خالصة، فى كل صورها النطقية التى ترد عليها فى اللغة العربية؛ إذ إن هذه الأصوات، أو الحروف المعتلة، ترد فى اللغة على صور متنوعة، بعضها - وهى حروف المد - يشبه تماماً الحركات فى كل صفاتها، بل يمكن القول: إنها هى الحركات الطويلة للحركات القصيرة العربية: الفتحة والكسرة والضمة. لكن بقية صور الحروف المعتلة، فيها من صفات الحروف الصامتة ما ليس فى الحركات؛ كالحفيف المصاحب للواو والياء: حرفى العلة، فهما بذلك من أشباه الصوامت نتيجة لهذا الاحتكاك، يضاف إلى ذلك: قصر تحققهما النطقى إذا قيسا بالحركات.

وثمة أشياء أخرى، غير صوتية، تجعلهما أشبه بالصوامت؛ حيث تدخل كل من الواو، والياء فى توزيع المقاطع، كما سنرى فيما بعد. وهناك من يضيف الجهر، والوضوح السمعى لهذه الحروف المعتلة، إذا ما قيست بالصوامت، لكن المتأمل لهاتين الصفتين، يجد أنهما محققتان بدرجة أو بأخرى فى بعض الصوامت أيضاً. من ثم، استقر رأى على أن أوضح ما يميز هذه الأصوات الثلاثة، عن بقية أصوات العربية الأخرى، هو: حرية مرور الهواء معها فى الفم، دون أن تعترضه عوائق.

٢ - مصطلح حروف العلة:

إن مصطلح: حروف العلة، لم يكن المصطلح الوحيد الذى يطالعنا فى كتب اللغويين العرب، بل نجد مرتباً بمصطلحين آخرين، هما: حروف اللين، وحروف المد، أى أن المصطلح العام الذى يمكن جمع هذه الحروف الثلاثة تحته هو: حروف العلة، واللين، والمد.

لعل السر في هذه التسمية ، أتى من أن هذه الحروف ، لاتأتى على صورة واحدة ؛ حيث نجدها مرة محرّكة ، وأخرى ساكنة ، وثالثة مدأ ، أو حركة طويلة لصامت يسبقها .

فمن نظر إليها ، وهى محرّكة ، أى : تعقبها حركات ، مثل : وكد ، يلد ، يأسر ، وطن ، يضرب ، وهب .. الخ ، اعتبرها حروف علة .

ومن نظر إليها ، وهى ساكنة ، مثل : بيت ، قول ، بيع ، قوم .. الخ اعتبرها حروف علة ولين .

أما من نظر إليها على أنها حركات طويلة للصوامت السابقة عليها ، فقد اعتبرها حروف مد ، مثل : قال ، باع ، يقوم ، يبيع .. الخ .

يعلل سيبويه لذلك ؛ أى لكونها حروف علة إذا تحركت ، بقوله : «وإذا قلت : أريد أن أُعْطِيَهُ حَقَّهُ ، فنصبت الياء ، فليس لها إلا البيان والإثبات ؛ لأنها لما تحركت ، خرجت من أن تكون حرف لين ، وصارت مثل غير المعتل ، نحو : بَاءَ ضَرْبَهُ ، وَبَعْدَ شَبَّهَهَا مِنَ الْأَلْفِ ، لأن الألف لاتكون أبداً إلا ساكنة (١) .

كما يؤكد ابن جنى تلك القوة التى تصير إليها الحروف المعتلة : الواو والياء ، عند تحركهما « فى مثل : الغَيْرُ ، والعِيَّةُ ، والطَّوْلُ ، والعَوْضُ ، فتأتى بالياء بعد الضمة ، وبالواو بعد الكسرة ، أنه إنما جاز ذلك من قِبَلِ أن الياء والواو لما تحركتا ، قويتا بالحركة ، فلحقنا بالحروف الصحاح ، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما .

وكذلك إذا أُدْغِمَتَا فى مثل قولهم : «اجْلُوذَ اجْلُوذًا ، واخْرُوْطَ اخْرُوْطًا ،

(١) سيبويه . كتاب سيبويه ١٩٣/٤ . تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ط أولى .

فتصح الواو . . . من قبل أنها لما أُدْغِمَت فى التى بعدها قويت ، وضارعت الحروف الصحاح ، فجاز ثباتها مع انكسار ما قبلها ، وكذلك قالوا : قَرْنُ أَلْوَى ، وَقُرُونُ لُئَى ، فَصَحَّحُوا الياء الأولى ، وإن كانت ساكنة مضموماً ما قبلها ، من قبل أنها قويت بالإدغام ، فحَصَّنَهَا عن القلب « (١) .

أما مصطلح : حروف اللين ، فقد أطلقوه على الواو والياء الساكتين بعد فتحة ، دون الكسرة والضمة ؛ لأننا نعلم الحركات القصيرة أبعاض لحروف المد - كما أشار إلى ذلك ابن جنى - ، بمعنى : أن الحروف المعتلة إذا سبقت بحركة من جنسها وأشبعتها بعدها ساكنة ، صارت إلى المد . يقول ابن جنى : « إنك متى أشبعت واحدة منهن - يقصد الفتحة والكسرة والضمة - ، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه . . . ، فالفتحة إن اشبعتها حدثت بعدها ألف ساكنة . . . ، والكسرة إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة . . . ، وكذلك الضمة لو أشبعتها نشأت بعدها واو ساكنة ، فلو لا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها » (٢) .

معنى ما سبق : أن الواو والياء إذا وردتا ساكتين بعد فتحة ، فهما حرفا لين ، كما فى : بَيْت ، وَنَوْم ، وَتَثْبَاتان ، لأنهما فى هذه الحالة تنقصان المد الذى فى الألف ، لكن يبقى فيهما اللين ، لسكونهما بعد حركة خفيفة هى الفتحة . ويعلل المبرّد لثبوت الواو الساكنة بعد الفتحة بقوله : « وقد بينت لك أنه الفعل اعتل المصدر؛ إذا كان فيه مثلُ ما يكون فى الفعل . فإن كان المصدر

(١) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١٩/١ - ٢٠ دراسة وتحقيق د . حسن هندواى . دار القلم . دمشق ، ط . ثانية ١٩٩٣ .

الغير : جمع غير . العيبة : الكثير العيب للناس . اجلوز السفر : طال ، ومثله اخروط . قرن الوى : شديد الالتواء .

(٢) سر صناعة الإعراب ١٨/١ .

من هذا الفعل على مثال (فَعَلَ) ثبتت واوه؛ لأنه لا علة فيها. وذلك قولك : وَعَدْتُهُ وَعَدَاً ، وَوَصَلْتُهُ وَصَلَاً « (١) » .

أما إذا وردتا ساكنتين بعد كسرة ، أو ضمة ، فهنا ينشأ ثقل يستدعى حذفهما ، أو قلبهما ، أو إدغامهما - كما سنرى فيما بعد - ، وفي هذا يقول المبرد : «اعلم أن هذه الواو إذا كان الفعل على (يَفْعَلُ) سقطت في المضارع ، وذلك قولك : وَعَدَّ يَعِدُ ، وَوَجَدَّ يَجِدُ ، وَوَسَمَّ يَسِمُ . وسقوطها ؛ لأنها وقعت موقعاً تمتنع فيه الواوات ؛ وذلك أنها بين ياء وكسرة ، وجُعِلت حروف المضارع الأخر توابع للياء ؛ لثلا يختلف الباب ، ولأنه يلزم الحرف مالزم حرفاً منها ؛ إذا كان مجازها واحداً . . . وإن بنيت المصدر على (فِعْلَةٌ) لزمه حذف الواو ، وكان ذلك للكسرة في الواو ، وأنه مصدر فعل معتل محذوف . وذلك قولك : وَعَدْتُهُ عِدَّةً ، وَوَزَنْتُهُ زِنَةً ، وكان الأصل وَعِدَّةً وَوِزْنَةً ، ولكنك ألقيت حركة الواو على العين ؛ لأن العين كانت ساكنة ، ولا يُبتدأ بساكن (٢) » .

هذا الثقل الناشئ من وجود الواو ساكنة بين ياء وكسرة ، أو من اجتماع الواو مع الكسر ، لا يكون مع الفتحة قبلها ؛ لأن الفتحة حركة خفيفة ؛ منفتحة ، مخرجها من وسط اللسان ، ويكون الفم معها منفرجاً ، واللسان مستلقياً في قاع الفم دون أدنى توتر ، وهذا بعكس الكسرة والضمة اللتين توصفان بأن موضع نطقهما في الفم من الأمام أو من الخلف ، وانفتاح الفم معهما يكون منغلقاً ، وتزيد الضمة مع الانغلاق باستدارة الشفتين (٣) . ويؤكد المبرد ذلك بقوله : « فإن كان الفعل على (فَعَلَ) كان مضارعة صحيحاً - أى : لا تحذف

(١) المبرد . كتاب المقتضب ٢٦٦/١ تحقيق محمد عبد الخالق عضية ، ١٣٩٩ هـ ، ط . المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(٢) السابق ٢٢٦/١ - ٢٢٧ وانظر سيويه ٢/٢٣٢ ، ٣٥٨ .

(٣) الطيب البكوش . التصريف العربي ٤٦ - ٤٩ تونس ١٩٧٣ .

الواو - إذا كان على (يَفْعَل) ، وذلك قولك : وَجِلَ يَوْجَلُ ، وَوَحِلَ يَوْحَلُ ،
وَوَجِعَ الرَّجُلُ يَوْجَعُ؛ لأن الواو لم تقع بين ياء ، وكسرة «^(١)» .

ومن ثم ، فليين هذين الصوتين : الواو والياء ، بعد الفتحة يأتي من قلة
الكلفة ، والمشقة على اللسان والضم عند النطق بهما ساكتين بعد فتحة ، وهذا
بعكس لو سبقت الواو بكسرة ، والياء بضممة ، ففي هذه الحالة يحدث الجمع
بين ثقيلين ؛ «وليس - كما يقول ابن جنى - ذلك راجعاً إلى الحروف، إنما هو
استئصال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه، وأنت لو رُمْتَ أن تأتي
بكسرة ، أو ضمة قبل الألف، لم تستطع ذلك ألبتة، وكذلك لو تكلفت
الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت
فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصراح، وذلك أن تقول : قَوْل ،
وَطَوَّل ، ثم تستثقل ذلك ، فتقلب الواو للكسرة قبلها : ياء ، فتقول : قِيل ،
وطِيل ، وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا، ونحوهما : مِيزَان ، ومِيقَات ،
ومِيعَاد . كل هذا من الواو في : وَزَنَ ، وَوَقَّتَ ، وَوَعَدَ ، وكذلك قالوا :
مُوسِرَ ، ومُوقِنَ ، وأصلهما : مُيسِرَ ، ومُيقِنَ ، فكرهوا الياء بعد الضمة ،
فأبدلوها واواً^(٢) .

إن ابن جنى يسمي التحول الذي أصاب : قول ، وطول ، وحولهما إلى :
قِيلَ وطِئِلَ بأنه قلب للواو ياء ، للكسرة قبلها .

ويسمى التحول الذي أصاب الياء بعد ضمة في : ميَقِنَ ، ومِيسِرَ ،
وحولهما إلى موقِنَ ، وموسِرَ ، بأنه قلب للياء واواً ، للضمة قبلها .
هذه واحدة ويعلل ذلك القلب بأنه ناشئ عن الجمع بين ثقيل وأثقل منه ،

(١) المبرد ١/٢٧٧ .

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١/١٨ - ١٩ .

أى : حركة الضم أو الكسر ثقيلتان ، والواو والياء الساكنتان أثقل منهما ؛
لأنه فى هذه الحالة قد اجتمع أو تجاوز المتنافران ، أو المتقابلان ، وهما الضم
والكسر ، «و الضمة والكسرة مستقلتان فى الحروف المعتلة»^(١) لأن الضمة
تخرج من مؤخر الحنك ، والكسرة من مقدم الفم .

هذا كلام لاغبارعليه ، لأنه اتجاه عام فى اللغة من الجنوح إلى السهل اللين
من الألفاظ ، ولو أدى ذلك إلى القلب ، والأبدال ، والإدغام ، والحذف . .
الخ . ولكن تفسيره لذلك بأنه قلب للواو ياء أو قلب للياء واواً فيه نظر ؛
لأنه ليس بقلب ، إنما هو حذف للواو والياء بعد كسرة أو ضمة ، أو هو سقوط
للحرفين المعتلين دون حركتيهما . هذا السقوط أشار إليه ابن جنى ، فى مكان
آخر من كتابه ، وعلل له ، عندما قال : « وإنما كان الأصل فى قام : قَوْم ،
وفى خاف : خَوْف ، وفى طال : طَوَّل ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة
، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء وحركة الواو والياء ، كُرِه اجتماع ثلاثة
أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة (أى : ساكن
دائماً ولا يتحرك أبداً) ، وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها ، فهذا هو
العلة فى قلب الواو والياء فى قام وباع»^(٢) .

لكننا مازلنا نقول : إنه ليس هروباً من الواو ، أو الياء إلى الألف ، بل
هو سقوط للواو ، والياء تماماً ، مع بقاء حركتيهما ، أو هو سقوط للواو
الساكنة بعد كسرة ، أو للياء الساكنة بعد ضمة ، ومن الحركتين نشأ المد لحركة
الحرف السابق لهما قبل سقوطهما ، أو نشأ المد بفعل النبر الساقط على حركة
الحرف السابق لهما بعد سقوطهما ساكنتين .

إذن الضمة والكسرة مستقلتان مع الحروف المعتلة - كما قال المبرد -

(١) المبرد / ١ / ٢٧٢ .

(٢) ابن جنى . سر الصناعة / ١ / ٢٢ .

والنتيجة أن الواو والياء تسقطان إذا حدث واجتمع مع الواو كسرة، أو اجتمع مع الياء ضمة . وسواءً كان الاجتماع مع واو ساكنة أو متحركة لأن الكسرة قبل الواو الساكنة تتحول إلى ياء مد بتأثير النبر الساقط عليها كما في : قيل وطيل ، وكذلك الياء الساكنة بعد ضم تتحول الضمة إلى واو مد بفعل النبر الساقط عليها كما في : مُوسِرٌ ومُوقِنٌ . أما الواو المتحركة ، أو الياء المتحركة ، فينشأ المد بعد سقوطهما من اجتماع حركة ما قبلها مع حركتها؛ كما أشار ابن جنى : قَوْمٌ < قام خَوْفٌ < خاف، طَوُلٌ < طال ، هَيْبٌ < هاب؛ حيث تقلب حركة الواو أو الياء إلى حركة مجانسة للحركة السابقة الساقط عليها النبر القوي، ومن الحركتين المتجانستين ينشأ المد، وليس القلب حادث للواو أو الياء كما صرح ابن جنى .

وسنعود إلى هذه النقطة المهمة كلما لزم الأمر؛ لأن سقوط حروف العلة، عند حدوث قلب لهذه الحروف يمثل نسبة كبيرة من التغيرات التي تحدث لهذه الحروف في اللغة العربية .

أما مصطلح المد، فمعناه : أن هذه الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء، تأتي على صورة ثالثة، *غير الصورتين السابقتين* : حروف علة محركة، أو حروف لين ساكنة بعد فتحة . هذه الصورة الثالثة هي صورة حروف المد ، والمقصود بالمد هنا هو الطول ، وإذا ما علمنا أن الحركات القصيرة : الفتحة ، والكسرة والضمة هي أبعاد لحروف المد واللين ، اتضح لنا أن المقصود بالمد هو أن تصبح هذه الحروف حركات طويلة ، Long Vowels « وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة»^(١) . إذن « فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنهم توابع للحركات ، ومنتشئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها ، وأجزاء منها،

(١) السابق ١٧/١ .

وأن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة ، ويؤكد ذلك عندما أيضاً أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ، ليس من لفظ الحروف ^(١) ، فتشبع الفتحة ، فيتولد بعدها ألف ، وتشبع الكسرة ، فيتولد بعدها ياء ، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو ، وأنشد سيويه :

فِيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مُعَلَّقُ وَفُضَّةٌ وَزِنَادٌ رَاعِيٌ ^(٢) .

حيث أشبع فتحة (يَيْنَ) للضرورة الشعرية ، فحدثت بعدها ألف ^(٣) ، والإشباع فى (بين) نوع من الترتمم بالفتحة ، وليس مداً لها ؛ لأن المد للحركات يؤدى إلى تغير وظيفي ، أى يخل بالنظام الاشتقاقي للغة ، مثل : كتب وكاتب ، وقتل وقاتل ، فهنا تغير الفتحة إلى فتحة طويلة أدى إلى اختلاف بين الكلمتين ، بينما مطلق - وليس مد - فتحة (يَيْنَ) أدى غرضاً إيقاعياً ، ولم يؤد إلى خلل وظيفي للظرف .

غير أن المد الناشئ عنه حروف العلة ، لم ينشأ فقط عن إشباع الفتحة أو الكسرة أو الضمة ؛ حيث رأينا ينشأ عن اجتماع حركتين قصيرتين متنافرتين ، أو متقاربتين بعد سقوط حرف العلة ^{بين} بينهما لاجتماع الأمثال ، وبعد سيطرة إحداهما على الأخرى بفعل النبر ، أو بفعل أهميتها فى نظام اللغة - كما سنرى - .

بل رأينا المد ينشأ عن سقوط حرف العلة الساكن بعد حركة متنافرة معه ؛ للثقل ، ونشوء المد البديل عنه بفعل النبر الساقط على الحركة السابقة .

(١) أى تحتاج إلى صوت تستكمل به إيقاعاً ، ولا يكون له تأثير صوتي يخل بالمعنى ، كالغنة ، والترتمم ، والمطل ، كما سيأتى الاستشهاد بذلك .

(٢) الوقضة : الكنانة توضع فيها السهام .

(٣) ابن جنى . سر الصناعة ٢٣/١ وانظره بالخزم فى سيويه ١٧١/١ وفى ابن يعيش : شرح المفصل

٣ - نظرة علماء اللغة إلى حروف العلة :

يرى د. إبراهيم أنيس أن « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيس في اللغات، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها ، لم يُعْنَبَ بها المتقدمون من علماء اللغة ؛ فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية، لاعلى أنها من بنية الكلمة، بل كعَرَضٍ يَعْرِضُ لها ، ولا يكون منها إلا شطراً فرعياً ، وليست العربية وحدها هي التي أهمل في بحثها أصوات اللين، بل شاركها في هذه أخواتها السامية، ولعل الذي دعا إلى هذا الانحراف، أن الكتابة السامية منذ القدم عيّنت فقط بالأصوات الساكنة؛ فرمزت لها برموز، ثم جاء عهد عليها ، أحسن الكتاب بأهمية أصوات اللين الطويلة، كالواو ، والياء الممدودتين، فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة، وظل الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة (الحركات) في العصور الإسلامية .

فالكتابة - التي ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية - صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين، فلم يرمز لها برموز في صلب الكلمات، كما هو الحال في الفصيحة الهندية الأوروبية^(١).

من النص السابق نفهم أن اهتمام علماء العربية القدامى بحروف العلة واللين والمد كان سطحياً ، لأنهم نظروا إليها كعرض يعرض للكلمة ، أي : ليست إلا شطراً فرعياً منها ، وبتعبير ابن جنى ، نظروا إليها على أنها حروف لين أو مد، وأن الحركات القصيرة ليست إلا أبعاد لحروف اللين .

رسخ هذا الاعتقاد لديهم نظام الكتابة العربية المشتق من النظام السامي الفينيقي القديم؛ الذي لا يظهِر في مَتْنِهِ إلا الصوامت دون الصوائت، ومن ثم ،

(١) د. إبراهيم أنيس. بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٤ - ١٠٥ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٤٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. والأصوات اللغوية ٣٧ ط. خامسة ١٩٧٩ مكتبة الانجلو المصرية.

صاروا ينظرون إلى حروف العلة واللين والمد، على أنها شئ فرعى يعرض للكلمة، كما يقول ابن جنى: «ذلك أن الحرف كالمحلّ، وهى كالعرض فيه»^(١)، وظلت هذه النظرة ملازمة لهم إلى أن أحسوا بأهمية الحركات الطويلة أولاً، أى: حروف المد: ألف المد، وواو المد وياء المد، فرمزوا لها برموز: (ا. و. ي)، وأدخلوها ضمن نظام أبجديتهم القديم، ثم فى العصور الإسلامية، بدؤوا فى وضع رموز للحركات القصيرة: سِـ للفتحة والكسرة والضمة.

لكننا نلاحظ، من النص السابق أيضاً، أن د. أنيس قد أطلق على هذه الحروف: أصوات اللين، وهذا المصطلح، كما بينا فيما سبق، ليس سوى إحدى صور ثلاث، تأتى عليها هذه الحروف فى الكتابة العربية، أو هذه الأصوات فى اللغة العربية، وأن ثمة مصطلحين آخرين تسميان به كل من الواو والياء عندما تكونان حرفى علة، أو حرفى لين، أما الألف، فلا تكون إلا على صورة واحدة: حرف مد؛ لأنها لا تأتى إلا ساكنة، أى: إشباع لفتحة قبلها، أما الواو والياء، فكما تأتيان حركتين طويلتين: حرفى مد، تأتيان فى صوزة حرفين صامتين أيضاً: أما إذا سكتنا بعد فتح، فهما حرفا لين.

لقد أحس القدماء بذلك إحساساً كبيراً؛ فنجدهم يتناولون هذه الأحرف بالمدرسة المكثفة فى كل كتبهم، وهذا على عكس ما يرى د. أنيس؛ حيث عرضوا لكل التحولات التى تحدث لهذه الأحرف، وعلى كل مستويات البحث اللغوى، والصرفى، والنحوى.

بل ليس علماء العربية وحدهم الذين اهتموا بحروف العلة واللين والمد، عند دراستهم لأصوات اللغة، فهذا (أرسطو) يضع مصطلحات ثلاثة لتقسيم حروف العلة إلى: مصوّت، ونصف مصوّت، وصامت.

(١) ابن جنى. سر الصناعة ٢٨/١.

و«المصوت» هو الحرف الذى له صوت مسموع من غير تقارب اللسان والشفاه، ونصف المصوت هو الحرف الذى له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله : حرفاً (Σ) {أى : س اللاتينى} ، و (P) {أى : ر اللاتينى} ، والصامت هو الذى فيه هذا التقارب ، ولكن ليس له بذاته أى صوت ، وإنما يصبح مسموعاً إذا كان مصحوباً بحروف لها صوت ، ومثاله الحرفان : (آ) {أى : ك الجاف الفارسية أو الجيم القاهرية} و (Δ) {أى : د اللاتينية} (١).

بمعنى : أننا نجد تفريقاً - لدى أرسطو - بين أصوات اللغة على أساسين مجتمعين ، الأول : فزيائى مسموع ، والثانى : نطقى موضعى .

فالمصوت لدى أرسطو ، يعنى : الحركات Vowels ، وهذا هو الذى له صوت مسموع . أما الصامت لديه ، فيعنى الحرف Consonant ، فهذا لا صوت له ، إنما له موضع تقارب فيه أعضاء النطق : من لسان وشفيتين عند النطق به ، ونحس بمكانه فيها ، لكننا لانسمعه إلا إذا انضم إليه المصوت ، فهو يجمع بين النوعين السابقين ؛ أى نحس بموضعه لتقارب يحدث بين أعضاء النطق عند إصداره ، ونسمع صوته عند هذا التقارب ، وهذا هو ما سمّاه علماء اللغة المحدثون بأنصاف الصوامت ، أو بأشباه الصوامت ، أو سمّوه بأنصاف أصوات اللين ، أو بأشباه أصوات اللين ، وهم فى كل هذه التسميات يعنون : الواو والياء العربيتين .

لكننا نرى أن هذا التحديد الأخير إنما هو على خلاف ما كان يقصده أرسطو من : (نصف المصوت) ، لأنه أشار إلى هذا النوع بمجموعة من الأصوات الأخرى من بينها الراء ، والسين ، كما أشار .

(١) د. محمد أمزوى: أشباه الصوائت فى اللغة العربية ٤٨ مجلة اللسان العرب. نقلاً عن : أرسطو طاليس : فن الشعر. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ٥٥. د. دار الثقافة . بيروت ١٩٨٠مصور عن ط. ١٩٥٢.

بمعنى: أن «مصطلحهم شبه المصوت»، أو نصف المصوت (Semi vowels) قد انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة، بعد أن جُردَ تماماً من المفهوم الاصطلاحي الإغريقي، وحُمِّلَ مفهوماً جديداً «^(١)».

وتسمية الواو والوياء الصامتين (بشبه صائت)، كان د. أنيس من أوائل، إن لم يكن أول، من أدخلها إلى العربية؛ حيث يرى أن «في تكوين الياء بدأت أعضاء النطق بمخرج الكسرة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة، وفي مثل هذه العملية ينتج الياء التي لها خصائص الأصوات الساكنة { يقصد: الصامتة }؛ لأنه يسمع عند النطق بها نوع من الصفير، أو الحفيف، وإن كان ضعيفاً جداً ولها خصائص أصوات اللين { يقصد: الحركات }؛ لأنها ليست في الحقيقة إلا نتيجة الانتقال بين صوتي ليس { يقصد: حركتين }، وكذلك الواو، بدأت أعضاء النطق معها بمخرج الضمة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة، ولهذا سميت الياء، والواو في نحو: وَاوٍ وَيَسْرٌ. . أنصاف أصوات اللين «^(٢)».

بمعنى: أنه يرى أن «الواو والياء صوت انتقالي»؛ أي: عند النطق به يحدث انتقال من موضع نطق حركة، إلى موضع نطق حركة أخرى، كما سبق أن أوضح.

لكننا نجده في كتابة: الأصوات اللغوية، يعنى بالصوت الانتقالي معنى آخر، حين يقول: «ففي تكوين الياء نلاحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع

(١) د. محمد أمزوى ٤٩. وقد عرض د. أمزوى لتطور المصطلحات: صامت، وحركة وشبه صائت أو Semi Vowel - Vowel Consonant من خلال استعراض استخدام الأوربيين والعرب لهذه المصطلحات في كتبهم وأبحاثهم فليرجع إليه من يشاء، وأخيراً، ارتضى تسمية: شبه الصائت مصطحاً لهذين الحرفين: (W.Y) أو الواو والياء من بينها.

(٢) د. أنيس. بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٥ - ١٠٦ والأصوات اللغوية ٤٢ - ٤٣.

النطق بصوت اللين (i) ، مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف ، فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً { يقصد : صامتاً } ، أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها ، فهي أقرب شهاً بصوت اللين (i) ، ولهذا اصطلاح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت لين .

وكذلك الواو ، لافرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراع بين أقصى اللسان ، وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو، أضيق منه في حالة النطق بالضممة (u) ، فيسمع الواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف، جعلها أشبه بالأصوات الساكنة { يقصد : الصامته } . أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدها شبه صوت لين (u) .

فالياء والواو هما المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن { يقصد : الصامت } إلى صوت لين^(١) .

نحن - إذن - أمام مفهومين للصوت الإنتقالى : الياء والواو ، الأول : يرى أن مخرجه يبدأ في التكون من مخرج الكسرة، أو الضمة، ثم ينتقل بسرعة ، قبل أن ينتهى النطق به ، إلى مخرج حركة أخرى، هي الفتحة ، وهذا ما يعرف في الأوربيات بالصوت المزدوج Diphthong .

ولنا هنا تعليق على وصف د . أنيس لتكون لاصوت داخل الفم، إذ يظهر من وصفه له أنه ينطق به أولاً ، ثم يعقبه بفتح الفم فتحة خفيفة ، ولعل هذا هو السر في اعتقاده بأن الصوت الانتقالى : الواو أو الياء ، يبدأ في التكون من منطقة تكون الضمة أو الكسرة، ثم ينتقل إلى منطقة تكون الفتحة . في حين يفهم من وصف الخليل للأصوات، أنه كان يبدأ بإخراج الهواء حراً طليقاً عبر

(١) د . أنيس . الأصوات اللغوية ٤٢ .

الفم، مثل قولنا : آآآآ . . . ، ثم يقف فجأة على مخرج الصوت بالسكون هكذا : آآآآت ، آآآآو ، آآآآى ، آآآآس ، . . . الخ .

وهنا لا يعقب الصوت فتحةً أو غيرها ، ولعل هذا هو السرفى تصويره الأول للصوت الانتقالي ، بأه انتقال من مخرج نطق حركة إلى مخرج نطق حركة أخرى .

الثانى : يرى أن الصوت الانتقالي يبدأ من مخرج إحدى الحركتين : (i) أو (ii) ، لكنه لا ينتهى على صورة الكسرة الخالصة؛ أو الضمة الخالصة ؛ التى يخرج معها الهواء فى حرية وانطلاق وجهر ، ولا تعترضه عوائق ، لكنه قبل انتهاء النطق به ، يحدث له ، وفى نفس موضع تكوُّنه الأول هذا ، نوع من الضيق فى مخرجه، ينتج عنه نوع ضعيف من الحفيف المسموع، فيقترب به من الصوامت الاحتكاكية، ويبعده عن الحركات الخالصة .

وأرى أن هذا التفسير الأخير لنطق الواو والياء العربيتين، هو الأصح بتسميتهما : أصواتاً انتقالية، أو حروف علة.

لأن المفهوم الأول، إذا تحقق فى لغات أخرى، كالأوربيات ، فإنه غير متحقق فى اللغة العربية ، لسبب بسيط، هو أن نظام العربية المقطعى يبدأ تكون المقطع فيه بصامت متبوع بحركة قصيرة (المقطع المتحرك)، أو بحركة مخطوفة، وهى فتح الفم بعد النطق بالصامت فتحة خفيفة ، حتى يسمع الصوت، وهو ما نسميه بالمقطع الساكن^(١)، ولا يعرف نظام العربية المقطعى ذلك النوع من المقاطع الأوربية المشتمل على حركتين مختلفتين فى الكيف بعد الصامت . كما نجده فى الألمانية فى مثل : s.Stein حجر ، e.Frau سيدة ، r.Raum فضاء ، r. Raub سلب أو نهب حيث يبدأ تحريك المقطع بالحركة

(١) راجع بحثنا : انجاء حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى . القاهرة ٢٠٠٠ .

الأولى وهى الفتحة وقبل أن ينتهى النطق بالمقطع نجد انزلاقاً حركياً إلى حركة أخرى هى (i) أو (u) على الترتيب. هنا يصح أن يطلق على هذا الحدث الفيزيائى السمعى، أو الحدث الموضعى النطقى، أنه صوت انتقالى أو انزلاقى Glide، وهو نوع ثالث من الحركات، غير الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة والضمة الصريحة، وغير ألف المد، أو واو المد، أو ياء المد العريية.

كما نلاحظ على هذا الصوت الانزلاقى أيضاً، أنه فى نطقه يكون تالياً لصامت قبله، مشكلاً له ومميزاً له، وهذا بخلاف الواو والياء العرييتين الصامتتين اللتين تردان مفتوحتين أو مكسورتين أو مضمومتين، بل وتردان ساكنتين أيضاً كما رأينا فى حرف اللين. أما الواو والياء المدتين، فقد أخرجناهما من أشباه الصوائت؛ لأنهما مع ألف المد صوائت طويلة بالفعل أى حركات طويلة صريحة للفتحة والكسرة والضمة.

إذن، الواو والياء الصامتتين العرييتين، لا يمكن عدُّهما صوتين انتقاليين، أو أصوات مزدوجة كما يحلوا للبعض تسميتها، وفقاً للمفهوم الحركى الأول، ويمكن لنا - مع التحفظ - عدُّهما صوتين انتقاليين بالمفهوم الثانى، الذى يجمع بين الصوائت والصوامت فى حالة تشكيلهما داخل الفم؛ فهما شبه صائتين إذا نظرنا إلى بداية تشكيلهما وتكونهما، وهما شبه صامتتين إذا نظرنا إلى انتهاء تشكيلهما وتكونهما.

«فكل من الياء والواو صوت انتقالى من أجل هذه الصفة الانتقالية، ولقصرهما، وقلة وضوحهما فى السمع، وإذا قيسا بأصوات اللين، أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة { يقصد : الصامته } . فلياء والواو طبيعة مزدوجة (١)».

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٣ .

وقد وصف روسلو / لاكلوط أشباه الصوائت ضمن الصوامت، ونعتها بالصوامت المصمتة، وهم في تمييزهم لها إنما اعتمدوا على «مقياس صوتياتي نطقى يتمثل في قصر مدّة التحقق النقطى في أشباه الصوائت ، إذا قيست بالصوائت»^(١).

كما أن وصف الواو والياء بأشبههما أصوات انتقالية ، نجده مسجلاً في المعاجم الاصطلاحية، لكن بمفهوم أشمل وأعم مما سبق؛ ففي معجم اللسانيات الذى أشرف على تأليفه (ج. مونتان) يقول : « يقصد بالمصطلحين : شبه صائت، وشبه صامت ، المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين : الإنتاج الصوتية خصوصاً (J) ، (W) ، (U) التى يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت، والصوائت ؛ لخصائصها النطقية (الانفتاح)، وتوزيعها داخل المقطع»^(٢). ويذكر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت، وشبه الصامت؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع، كما فى كلمتى : تبيان tibia:n ، وأقوال 'aqwa:L ، وهو شبه صائت حين يقع بعد القمة المقطعية ، كما فى كلمتى بيض baid ، وحوض hawd . . . ، ثم يشير إلى أن علماء الأصوات الأنكليز يستعملون مصطلحاً عاماً هو : الانزلاقى Glide الذى يتميز على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتياً ، ولا صامتياً»^(٣) بمعنى : أن أشباه الصوائت : الواو والياء العربيتين صنف ثالث ، غير الحركات ، قصيرها وطويلها ، وغير الصوامت، إنها صنف يجمع بين الصوائت والصوامت، فيه من الصوائت: الانفتاح، وحرية مرور الهواء من الفم، وخروجه من مخرج الحركة. وفيه من الصوامت: الاحتكاك، والتضييق فى المخرج، والقصر

(١) د. محمد أمزوى ٤٩ .

(٢) السابق. نفس الصفحة . والرمز (ل) يقصد به الصوت (O) الموجود فى اللهجة المصرية فى قولنا :

يوم ، ونوم ، وعموم . الخ .

(٣) السابق . ٥١ .

النطقى ، وقلة الوضوح السمعى إذا قيست كل من الواو والياء بالحركات ،
وقدرته على بناء المقطع ؛ حيث تشكل كل من الواو والياء فى العربية (وديان
المقاطع) ؛ فقد تأتى الواو ، أو الياء فى بداية المقطع ، أى : قبل قمته الحركية
- كما أشرنا من قبل - وسميناها بحروف العلة فى مثل : ولد ، وولد ، وقد
تأتى الواو ، أو الياء بعد قمة المقطع الحركية ، وهى تلك التى سميناها بحروف
اللين ، فى مثل : بيت ، ونوم .

بمعنى : أن علماء اللغة الإنجليز عندما نظروا إلى الواو والياء ، كصوت
انزلاقى ، نظروا إليه من زاوية دخوله فى تكوين المقطع ؛ فالواو أو الياء قبل
قمة المقطع (الحركية) شبه صامت ؛ لأنه حرف يحمل حركة ، فهو أشبه
بالصوامت الأخرى ، كما فى (يكتب) ، (ولد) . . الخ ، والواو ، أو الياء
الساکنة بعد قمة المقطع شبه صائت ؛ لأنه حرف لين يكمل المقطع ، فهو أشبه
بالحركات الطويلة ولكن دون المد فيها مثل : بيت ، ويوم . . . الخ ، وهم فى
هذا يتفقون مع علماء العربية القدماء عندما وصفوا الأول بحرف العلة ، والثانى
بحرف اللين ، أما حروف المدّ فهم يتفقون معهم فى أنها ليست سوى الحركات
الطويلة Long Vowels بتعبير أكثر وضوحاً واختصاراً .

تتوزع حروف العلة واللين والمدّ العربية على النحو التالى :

- تكون قِمْماً مقطعية حالاتها المدية مثل : قال ، مسلمون ، كبير .
- تكون ودياناً مقطعية فى بادئها فى مثل : يَحْضُرُ ، وَجَد .
- تكون ودياناً مقطعية منهيّة للمقطع فى مثل : بَيْت . نُوم .

«إن بعض الأصوات مؤهلة بحكم خصائصها الذاتية ، ووظيفتها فى نظام اللغة ،
لأن تكون الصوت الأساسى فى المقطع ، على حين يحتل بعض آخر مركزاً
ثانويّاً فى تكوين المقطع ، وتمتاز الأصوات المقطعية بأنها فى الغالب صوائت ،

أو صوامت من النوع الذى يحمل شبيهاً قوياً بالصوائت، وتتصف هذه الأصوات من حيث إصدارها بأنها ذات تطق واسع مفتوح Open articulation من حيث فيزيقيتها بالرنين.

أما الأصوات غير المقطعية، فتتصف على عكس ذلك بالنطق الضيق وانعدام الرنين^(١). ومن ثمَّ كانت الأصوات المعتلة :

(و.ا.ى) نتيجة لطبيعتها النطقية، وصفاتها الصوتية، قادرة على أن تشكل قمم المقاطع فى اللغة العربية، وعلى أن تُشكِّلَ وديانها أيضاً .

٤ - التحولات التى تطرأ على حروف العلة واللين والمد:

تسمى التحولات الصوتية التى تحدث للأصوات نتيجة لتأثرها بعضها ببعض بالقلب والأدغام؛ «وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره، أن يَفْنَى فيه الصوت المجاور، فلا يبقى له أثر، وفناء الصوت فى صوت آخر هو ما اصطلاح القدماء على تسميته بالإدغام، وتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصوراً على الأصوات الساكنة (يقصد: الصامتة) ، بل قد يكون أيضاً فى أصوات اللين، وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين Vowel Harmony^(٢) .

والقلب الذى يطرأ على حروف العلة، ويحولها إلى حروف لين، أو مد، راجع فى أساسه إلى إحداث نوع من الانسجام فيما بينها؛ فحروف العلة واللين والمد - كما أشار ابن جنى - كانت فى أساسها حركات : الفتحة والكسرة والضمة؛ « فإنك متى أشبعت واحدة منهن، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) ، فإن أشبعتها حدثت بعدها (ألف) ، فقلت: عَامَرَ ، وكذلك كسرة عين (عَنَبَ) ، إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة،

(١) د. سعد مصلوح . دراسة السمع والكلام ٢٢٦ عالم الكتب ١٩٨٠ .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ١٨٢ .

وذلك قولك: عيب ، وكذلك ضمة عين (عمر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك : عومر، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوتل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها^(١).

بمعنى : أن أول تحول نسجته على هذه الحروف المعتلة ، هو ما يسمى بالمد، أى : تحولها إلى حروف مد ، وأن هذا المد ناشئ - فى بعض منه - عن إشباع للحركات القصيرة، وسبق لنا أن علمنا لماذا تلسجأ اللغة إلى مثل هذا الإشباع، « فالعرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مُجْتَلَب ، ليس من لفظ الحروف، فتشيع الفتحة ... »^(٢).

وقد تستخدمه اللغة وسيلة من وسائل تنويع الاشتقاق، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر، أو لإحداث فروق معنوية، أو لغايات تمييزه بين صيغة وأخرى، مثل : كَتَبَ وَكَاتَبَ، وَقَتَلَ وَقَاتَلَ . الخ.

لكن المتأمل لحروف المد العربية، يلاحظ أنها لم تنشأ كلها عن إشباع للحركات القصيرة، لكن - وكما سبق أن علمنا - من سقوط لحروف العلة دون حركاتها، حينما تجتمع الأمثال ، حيث يسقط حرف العلة بين علتين، وينشأ من الحركتين المتبقيتين المد الطويل ، بعد أن تتغلب إحداهما على الأخرى ، لأسباب موضوعية محددة فى كل حالة.

صحيح أن ابن جنى هو صاحب تلميح السقوط؛ لاجتماع الأمثال، لكنه لم يحسن تفسير هذه الظاهرة التى تحكم حروف العلة فى أغلب تحولاتها، واكتفى بالقول : إنها راجعة إلى الثقل الناشئ عن اجتماع الثقيلين، ومرة أخرى بأن العرب كرهوا الخروج من الضم إلى الياء ، أو كرهوا الخروج من الكسر إلى الواو ، أو من الكسر إلى الألف. وقد سبق إيراد نصه الذى أشار

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/١٨ .

(٢) السابق . ٢٣/١ .

فيه بأنه « استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً ، فليس ذلك راجعاً إلى الحروف ، إنما هو استئصال منهم الخروج من ثقل إلى ما هو أثقل منه ... »^(١) ، بل ، وأضاف إليه : « وكذلك إن انكسر ما قبل الألف ، أو انضم ، قلبت الكسرة ياء ، والضممة واواً ، وذلك الياء في (قراطيس) إنما هي بدل من لألف في (قراطس) ، والواو في : (ضَوَّيرِب) إنما هي بدل من الألف في (ضارب) »^(٢) .

بمعنى : أنه علل السقوط بالثقل الناشئ عن اجتماع المثلين : ضمة بعد واو ، أو كسرة بعد ياء ، أو ناشئ عن اجتماع المتسافرين : ضمة بعد ياء أو كسرة بعد واو ، وفي كلتا الحالتين يكون الاجتماع ثقیلاً في النطق ، وإن كان التماثل أثقل من التنافر ؛ لكون التنافر فيه تنوع حركي من الخلف للأمام ، أو العكس ، وهذا ولاشك ، أسهل على اللسان من النطق بحركتين ثقيلتين متماثلتين ، لكون اللسان يكره ، أو يثقل عليه العودة إلى موضع واحد مرات متعددة في كلمة واحدة ، وهو ما أسماه العرب بفصاحة الألفاظ ، عند خلوها من مثل هذا التماثل ، ومثلوا له بكلمة : (مُسْتَشْرَات) في بيت امرئ القيس الشهير ، حيث تتقارب مخارج ألفاظ هذه الكلمة ، أو تتحد في كلمة واحدة .

النتيجة أن العرب في مثل هذه المواضع ، أسقطوا حرف العلة ، ثم أدغموا إحدى الحركتين الثقيلتين في الأخرى بعد قلبها ؛ لينشأ عنها مد طويل للحركة الأولى . أو أدغموا واحدة في الأخرى فقط لينشأ عن الأولى مد طويل .

وإدغام الحركات بعضها في بعض يكون بقلبها إلى حركة مماثلة للأخرى التي ستدغم فيها ، لينشأ عن هذا الإدغام مدٌ للحركة الأولى . وهذا يختلف

(١) انظر النص في هامش (٨) .

(٢) السابق نفس الهامش .

عن إدغام الصوامت؛ إذ يتطلب ذلك أن يسكن أحد الصامتين، ثم يُبدل إلى حرف مماثل للحرف الذي سيدغم فيه، فينشأ عن الإدغام الصوت المضعف.

لقد سبق لنا القول: إن ذلك النص من ابن جنى يفسر لنا جوانب مهمة في تحولات حروف العلة؛ منها:

كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف مدّ.

ومنها: كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف لين، وفسر هذا الأخير بأنه تحول من الصيغة التي على وزن (فعل) في مثل: قول، وطول، إلى صيغة (فعل) التي ارتضوها اسماً ومصدراً، فتألوا: قول، طول؛ حيث ورد حرف العلة في الصيغتين ساكناً، لكنه مسبوق بكسرة، وهي لاتناسب الواو؛ لاجتماع المتنافرين، فتقل ذلك على اللسان، فحولوا الكسرة إلى فتحة؛ لأن الفتحة تجانس الضمة وتجانس الكسرة، أي تقع موقعاً وسطاً بين الضمة الخلفية والكسرة الأمامية، ومن ثمّ تسهل الفتحة قبل الواو، كما تسهل قبل الياء، وهذا يفسر لنا لماذا تسهل حروف اللين على اللسان، ولماذا تثبت الواو والياء الساكنتين مع الفتحة ولا تحذفان أو تدغمان.

كان يمكن لهذا الصيغة أن تستمر في التحول، لكنها وقفت عند هذا الحد، أي حد التحول إلى حرف لين ساكن مسبوق بفتحة؛ لأنهم قصدوا بها أن تكون اسماً، ومصدراً على هذا الوزن (فعل)، فلما تحقق لهم ما أرادوا، مع سهولة لفظه، وقفوا به في تحوله إلى هذا الحد، ليكون الوزن واحداً في كل من الصحيح والمعتل؛ لاحظ: ضربَ ضرباً، فتحَ فتحاً، أكلَ أكلاً، وكذلك: قالَ قولاً، وباعَ بيعاً وحالَ حولاً، وطالَ طولاً.. الخ.

ثمّة ملاحظة يمكن تسجيلها، وهي أن حروف العلة، عندما تتحول في أوزان اللغة إلى حروف لين، أي تُسكّن، فإنها لا تستقر على حالتها اللينة تلك إلا إذا سبقت بفتحة، وهي في هذا تختلف عن الحروف الصحيحة التي يمكن

أن تسكن وتسبق بضممة أو بكسرة، مثل : شَرِبَ شُرْباً، وَلَعِبَ لَعِباً . . الخ ،
« على أن من العرب من يقلب في بعض الأحوال الواو والياء الساكتين الفين
للفتحة قبلهما ، وذلك نحو قولهم : في الحَيْرَةِ : حَارِيّ وفي طَيْئٍ : طَائِيّ ،
وأجاز غيرُ الخليل في «آية» أن يكون أصلها «آية» ، فقلبت الياء الأولى ألفاً
لانفتاح ما قبلها. وقالوا : أرض داوِيَّة ، منسوبة إلى الدَّوِّ، وأصلها : «دَوِيَّة»
فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها ، إلا أن ذلك قليل غير مقيس
عليه غيره » (١).

بمعنى : أن التحولُ من العلة إلى اللين، رغم سهولته على اللسان ،
واطراداه في القياس مع نظيره الصحيح ، كان يمكن له أن يستمر في التحول إلى
صورة المدِّ ، بدليل وجود نماذج منه - كما سبق في النص-، لكن هذا التحول
لم يكتب له الحدوث مع صيغة اللين .

بل « تميل اللهجات العربية إلى التخلص من نصف العلة المُشكَّل بالسكون
والمفتوح ما قبله عن طريق تغييره هو والفتحة بحركة طويلة من جنسه : فتحة +
و ← ضمة طويلة مُفخَّمة : ضوؤ ← ضوؤ ، لوز ← لوز . وفتحة + ي ←
كسرة طويلة مفخمة : بيت ← بيت ، عيب ← عيب » (٢).

لكن يظل هذا التطور ، أو ذاك تطوراً لهجياً ، وهو تطور يجب أن يدرس
دراسة مستقلة ، كما سبق لنا أن أشرنا إلى مثل تلك الظواهر في اللهجات .

وليست كل الصيغ المعتلة تكون مفتوحة قبل حروف اللين الساكنة ؛ فثمة
صيغ يلزم فيها أن تكون مضمومة، أو مكسورة، بل ليست كل واو أو ياء تأتي
ساكنة وهذا ما أشرنا إليه في تعليل ابن جنى السابق، لسر سقوط الواو أو الياء
بعد الضمة أو الكسرة، للثقل الناشئ عن اجتماع المتماثلين، أو المتنافرين .

(١) السابق ٢٣/١ .

(٢) د. أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوي ٣٩٣ عالم الكتب، ١٩٩١ .

فثمة تحولٌ يطرأ على الواو والياء عند بناء الأفعال المعتلة للمجهول ؛ فالواو فى : فالواو فى : قول ، وطول ، يلزمها التحرك بالكسر ، وأن تسبق بضمّة ، كما هو القياس فى بناء الثلاثى للمجهول ، فنقول : (قول وطول) فاجتمعت الأمثال الثلاثة : الضمة والواو والكسرة ، فسقطت الواو ، أن حذفت ، فالتقى الثقيلان : الضمة والكسرة ، فكان لابد من الإدغام بتغليب إحدى الحركتين على الأخرى ، وتحويل الثانية مدا لها ، فلمن تكون الغلبة؟ وبخاصة أن كلتا الحركتين فى صيغة البناء للمجهول يجب مراعاتها فى هذا الوزن المميز للفعل المبني للمجهول .

باستقراء منهج العرب فى التعامل مع الفعل الثلاثى الجذور ، نجد أنهم قد أعطوا لحركة عين الفعل أهمية كبيرة على مساوها ، ويتضح ذلك من جدول تصريف الثلاثى ، و من ثمّ ، تصبح الكسرة هى الأكثر أهمية ومراعاة ، ومن ثم ، قلبت الضمة إلى كسرة لمناسبة الكسرة ، ومن الكسرتين نشأ المد الموجود فى صيغة البناء للمجهول ، فقالوا : قيل ، طيل ، بيع ، نيم ، صيم . . الخ .

قس على ذلك بقية الأوزان الأخرى التى ذكرها ابن جنى فى نصه المشار إليه سابقاً ، مثل : (مِيزان) على وزن (مِفعال) ، وكذلك : مِيقَات ، ومِيعَاد والأصل فيها : مِوزَان ، ومِوقَات ، ومِوعَاد فاجتمع الثقيلان المتنافران : الكسرة والواو ، وهم « كانوا يستكروهون الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً . . لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه » ، فما التحول الذى أحدثوه للخروج من ذلك الثقل ؟ غلبوا كسرة الميم على الواو الساكنة ؛ لأسباب ، منها : أن الميم حرف صحيح مُحَرَّك بالكسرة ، والحركة زادته قوة على قوة .

ومنها ، أن الوزن المقيس عليه هو : (مفعال) ، مكسور الأول .

ومنها ، أن الواو حرف علة ضعيفة سريع القلب والحذف والإبدال ، وقد جاء ساكناً ، فازداد ضعفاً على ضعف . ومن ثمَّ ، كانت الغلبة لكسرة الميم ، فأبدلت الواو ياء ساكنة لتناسب الكسرة قبلها في المد .

إذن التحول الذي أصاب حروف العلة ، قد سار في اتجاهين : اتجاه اللين ؛ بتسكينها بعد فتحة ، والوقوف بها عند هذا الحد .

واتجاه تحويلها إلى حروف مد من جنس الحركة السابقة عليها ، وهذا الاتجاه الأخير وجدنا له سبلاً متعددة :

إما بإسقاط حرف العلة عندما تجتمع الأمثال ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل .

وإما بتغليب إحدى العلتين على الأخرى لأسباب موضوعية في كل حالة فتقلب العلة الأخرى إلى علة مماثلة لها ، ومن الإدغام ينشأ المدُّ .

اللافت للنظر اطراد هذه القواعد في معظم التحولات التي تطرأ على حروف العلة ، ويتبع الصيغ التي ذكرها ابن جنى في نصه ، بل وغيرها من أمثلة لم يوردها ، ونجد اطراداً لمعظم تحولات حروف العلة على هذا النسق :

ففي المثال الثالث الذي أورده ، وهو اسم الفاعل من غير الثلاثي : مُوسِر ، ومُوقِن ، تطرَّد القاعدة ؛ حيث نعلم أن اسم الفاعل من غير الثلاثي يصاغ على وزن مضارعة ، مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الأخير .

و(مُوسِر) كان قياسها : مُيسِر ، و (مُوقِن) كان قياسها : مُيقِن ، فاجتمع الثقلان : الضم والياء ، ولما كان الضم الأول ذا أهمية في تمييز صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي ، أبقى عليه ، وقلبت الياء الساكنة واواً ساكنة ؛ لأنها تناسب مد الضم ، فصارت : مُوقِن ، ومُوسِر .

وفي صيغة التصغير : (ضَوِيرِب) المشتقة من (ضارِب) ، نجد أطراداً للقاعدة أيضاً ؛ فالف ضارب نشأت من إشباع فتحة الضاد؛ للتنويع الاشتقاقى : اشتقاق اسم الفاعل من : ضَرَبَ .

وعندما أرادوا اشتقاق صيغة التصغير من ضارب، اضطردت القاعدة؛ بدورها؛ حيث يضم الأول، ويفتح الثاني، وتضاف ياء ثلاثة ساكنة فى الوزن الذى ارتضوه للتصغير.

فُضِّمَت الضاد بعد أن كانت مفتوحة ، فتحولت ألف المد إلى واو مد ساكنة ؛ لاستحالة النطق بالألف بعد ضمة - كما قال ابن جنى - ، ثم أضيفت ياء ثلاثة ساكنة بعد الواو الساكنة، فصارت : ضَوِيرِب ، فالتقى ساكنان ثقيلان : الواو والياء ، والقاعدة تقول : بحذف الساكن الأول إذا كان حرف علة . لكن لو تم الحذف سيختل وزن التصغير خاصة أن الحرف الثانى فى وزن التصغير يحمل نبراً قوياً ، ولايسقط النبر فى اللغة إلا على مقطع متحرك، فما كان منهم إلا أن تخلصوا من التقاء الساكنين بتحريك الواو بالفتح، وأبقوا على الياء الساكنة الثالثة فنشأ اللين السهل على ألسنتهم : ضَوِيرِب، وحافظت الصيغة على صورتها المصغرة.

وتطرّد القاعدة أيضاً عند اجتماع حركتين متماثلتين؛ فى مثل : يدعو، ويسمو؛ فالأصل : يَدْعُو ، وَيَسْمُو ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الواو بين ضمتين، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَدْعُو على وزن يَفْعُو .

وتطرّد القاعدة عند اجتماع علتين متنافرتين؛ فى مثل : يحكى، ويرمى؛ فالأصل : يَحْكِي ، وَيَرْمِي ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الياء ، فاجتمعت الكسرة بالضمّة ، ولما كانت الكسرة هى حركة عين الفعل، كانت لها السيطرة والبقاء ، فقلبت الضمة كسرة لتناسب كسرة عين الفعل، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَحْكِي وَيَرْمِي على وزن يَفْعِي .

وفى مثل : القاضى والداعى والساعى ، نعلم أن الأصل هو : القاضى ،
والداعى والساعى ، وأنها جميعاً على وزن اسم الفاعل من الثلاثى ، ويمكن
تفسيرها مثل الصيغ السابقة . لكن ثمة تفسير آخر يدعمه ، وهو أن هذه
الكلمة تحمل نبرين ، لتعدد مقاطعها ، حيث يسقط نبر قوى على كل من :
القاف والضاد ، والdal والعين ، والسين والعين على التوالي ، وبسقوط النبر
على الحرف تزداد الحركة الحاملة لهذا النبر قوة ، وتصبح لها السيطرة والظهور
على ما يجاورها ، بل تصاب الحركة التالية لها بالإظلام الصوتى ، أى تحذف
إن كانت قصيرة ويسكن الحرف بعدها ، وتقصّر إن كانت طويلة ، والنتيجة أن
حذفت حركة الإعراب بعد مقطع منبور ، فسكنت الياء فأدعمت فى الكسرة
قبلها ، فنشأ المد .

وبمثل هذه الطريقة ، يفسر التحول الذى يصيب حروف العلة فى الأفعال
التالية : يقضى ، ويدعو ، ويسعى ، ويبقى . . الخ .

وكذلك عند إسناد الأفعال المعتلة إلى الضمائر : واو الجماعة ، وألف
الائتين ، وياء المخاطبة ، كما فى : يَرْتُونُ ، وأنت ترمين ، وهم يَسْعُونَ وأنت
تَسعين . . الخ .

وبتطبيق القاعدة نلاحظ : سقوط الواو (لام الفعل) فى (يرتون) فصار
الفعل (يرتو) بالمد ، على وزن : يفعُو ، لتوالى الأمثال .

وعند إسناده إلى واو الجماعة ، التتى مدان : مدُّ عين الفعل ، وهو ذو
أهمية كما نعلم ، ومدُّ واو الجماعة : الضمير المسند إليه الفعل ، هنا يحذف
مد عين الفعل رغم أهميته ، ويبقى مد الضمير ؛ حتى لا يفوت غرض الإسناد ،
كما أن القاعدة تقول : بحذف الساكن الأول عند اجتماع الساكنين فصارت :
يَرْتُونُ على وزن : يَفْعُونُ . .

يقاس على ذلك الإسناد إلى ياء المخاطبة .

أما الفعل (يَسْعُونَ)، فنلاحظ أن التحول فيه صار في طريق التحول إلى حروف اللين، وليس في طريق التحول إلى حروف المد؛ وسبق أن علمنا أن كلا التحولين مقبول ، ومستساغ في اللغة، وأن الصيغة بحروفها الموجودة فيها هي التي تفرض أحد التحولين، دون الآخر، وقد تحقق شرط اللين في الفعل يسعي؛ إذ سقطت الياء أولاً لاجتماع الأمثال، فأدغمت ضمة الإعراب في فتحة عين الفعل، فنشأ المد، فصار يسعي على وزن: يفعي، وبإسناده إلى واو الجماعة سقط مد عين الفعل لالتقاء الساكنين، فصارت واو الجماعة الساكنة مجاورة لفتحة العين فنشأ اللين السهل المقبول على الألسنة، وصارت الصيغة: يَسْعُونَ، واكتفت بهذا التطور.

ثمة شذوذ ظاهري نسجله على حروف العلة، فيه كسر للقاعدة الصارمة السابقة في تحولات حروف العلة؛ هذا الشذوذ يحدث غالباً لأمن اللبس، وهو أمر مشروع فسي كل اللغات؛ فعند إسناد الفعل الماضي المعتل بالألف، إلى ألف الاثنين، مثل: سعي، ودنا، وهوى . الخ فإننا نقول: سعيًا، ودنوا، وهويًا، حيث يعود حرف العلة في مثل هذه الأفعال الناقصة إلى الظهور، ولا يسقط بين حركتين، كما هي القاعدة، والسبب في ذلك هو أمن اللبس؛ لأنه لو لم يعد للظهور، لكان النطق مع الأسناد إلى ألف الاثنين هو أيضاً: سعي Sa'aa ودنًا Danna، وهوى Hawwa . وهو نفس نطق الفعل عند إسناده إلى ضمير المفرد الغائب، فلكى لا يفوت غرض الإسناد إلى الاثنين حدث الشذوذ السابق للقاعدة، بعودة الياء، والواو (لام الفعل الناقص)، وتحريكهما بدلاً من حذفهما، فصار الفعل بعد الإسناد إلى ألف الاثنين: سعيًا، وهويًا، دنوًا . ساعد على قبول ذلك خفة الفتحة مع كل من الواو والياء، فالفتحة - كما قلنا - حركة مجانسة، أي مجاورة لكل من الواو والياء

وليس حركة مماثلة أو متنافرة لهما ، والثقل ينشأ عن التماثل أو عن التنافر في كل من الواو والياء ، وليس عن التجانس .

أما آخر ملمح نسجّله على تحولات حروف العلة؛ فهو : وجود كلمات تثبت فيها حروف العلة متجاورة، دون حدوث التطور السابق الإشارة إليه : وهو التحول إلى حروف لين ، أو حروف مد .

من هذه الكلمات : قاوم ، وباع ، وناول وسائر . الخ في هذه الأفعال نلاحظ أنها رباعية الحروف ، وأن الزيادة فيها جاءت لتنويع الاشتقاق ، كما أن إيقاعها ، أى : وزنها ، يختلف عن إيقاع نظائرها الثلاثية الحروف ، مثل : قام ، وباع ، ونال ، وسار . الخ ؛ ففي هذه الأفعال الثلاثية نلاحظ أطراد حذف حرف العلة لتوالى الأمثال ، ومن العلتين نشأ ألف المد .

كما أن هذه الأفعال الثلاثية ذات زمن قوى واحد : قام قَ أ م

$\frac{1}{uu} = /$ وكذلك ك : سار ، ونال وباع : زمن قوى منبور ، يعقبه زمن ضعيف غير منبور؛ يحفظ للكلمة إيقاعها : أى : وزنها .

أما : قاوم وأمثالها فإنها حاوية لزمنين قوين منبورين ، يتعاقب مع كل واحد زمن ضعيف ، يحفظ للكلمة إيقاعها ، أى : توازنها ، لاحظ :

$$/ \text{ ق أ } - \text{ و م } - / = \frac{1}{nu} - nu \text{ (1)}$$

بمعنى : أن الواو في قاوم ، وأمثالها ، ساقطة في الزمن القوى الثانى ، ويسقط عليها النبر القوى الثانى ، والنبر من خصائصه أنه لا يسقط إلا على مقطع متحرك ، كما أنه يقوى الحرف الساقط عليه ، ويظهره على غيره ، ويمنع حذفه وإلاً اختلَّ إيقاع الكلمة .

(1) انظر شرح كل ذلك فى كتابنا : إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف : دراسة فى النظرية والتطبيق .

وسبق أن أشرنا إلى أن هذا الإيقاع الجديد لهذه الكلمة، وأمثالها ، هو إحدى وسائل الاشتقاق فى تنويع الكلمات، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر، / فقاوم / تختلف لفظاً وإيقاعاً ومعنى عن / قام / ، وكذلك ساير عن سار ، وبإيع عن باع . . الخ .

إذن فثبوت الواو المتحركة المنبورة فى مثل هذه الكلمات كان لضرورة إيقاعية، وليس كما يقول الطيب البكوش : « إن ثبوتها - يقصد الواو والياء - يرجع إلى خفية النطق بالفتحة بعدهما - أى : بعد الألف - ، لأنهما وسط بين الكسرة والضمة . أو أن ثبوتها يرجع إلى تأثير طول الفتحة؛ فالحركة الطويلة قوية تكون عنصر استقرار فى الصيغة»^(١).

نخلص مما سبق إلى الآتى :

● التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، فتقلبها إلى حروف لين، أو مد سببها الأساسى، هو محاولة تحقيق الانسجام الحركى Vowel/Harmony بينها وبين الحركات القصيرة من جهة، وبينها وبين بعضها البعض من جهة أخرى. هذا الانسجام دافعه الأساسى أو الرئيسى لتحقيق السهولة النطقية، وهو مبدأ عام يغشى كل اللغات، وتحرص عليه.

● سار اتجاه التحول بين حروف العلة فى اتجاهين متوازيين :

الأول : تحولها إلى حروف لين .

والثانى : تحولها إلى حروف مد .

● امتاز التحول الأول ، بسكون حرف العلة : الواو أو الياء بعد فتحة، ووقف عند تلك المرحلة، لكنه اقتصر على صيغ وأوزان محددة جاء معظمها على : فَعَل ، وَمَفْعَل ، مثل : سَوَط ، وَبَيْت ، وَمَوْقِدٌ وَمَوْلِدٌ . . . الخ .

(١) الطيب البكوش . التصريف العربى ٥٤ وما بعدها .

- امتاز التحول الثانى : وهو تحول حروف العلة إلى حروف مد ، باتساع صيغه وأوزانه ومشتقاته وأمثله ، وانطلق فى تحوله من منطلقين :
 - ١ - إشباع الفتحة والكسرة والضمة ، فتصير إلى ألف المد ، وواو المد ، وياء المد .
 - ٢ - سقوط الواو أو الياء عند توالى الأمثال ، وقلب إحدى الحركتين وإدغامها فى الأخرى ، لينشأ عنها مد الأولى .
 - ٣ - سقوط الواو المتحركة بعد كسرة ، أو الياء المتحركة بع ضمة لاجتماع الثميلين ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل للكسرة ، أو المد الطويل للضمة .
 - ٤ - سقوط الواو الساكنة بعد كسرة ، والياء الساكنة بعد ضمة للثقل الناشئ عن اجتماع المتنافرين ، ونشوء المد الطويل للكسرة ، أو الضمة بتأثير النبر القوى الساقط عليهما .
 - ٥ - يصح تسمية تحوّل العلل إلى حروف لين بأشباه الصوامت ، ويصح تسمية تحوّلها إلى حروف مد بأشباه الصوائت .

٥ - الإبدال التاريخى لحروف العلة :

تناول د. إبراهيم أنيس هذا الأبدال فى بحث له تحت اسم : بحث اشتقاق حروف العلة^(١) عندما قال : « ويعنينا هنا استعمال الياء والواو كأصوات ساكنة { يقصد : صامته } فى اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة ، ولكنى سأغفل الإشارة إلى استعمالها فى الأسماء الجامدة ، والحروف التى لانستطيع أن نميز فيها بصفة قاطعة أصول الكلمة ، والزائد فيها . أما الأفعال ، والمشتق من

(١) انظر هامش ١٥ .

الأسماء ، ففي غالب الأحيان يستطيع اللغوي أن يؤكد أصولها ، وأن يميز زوائدها .

وباستقراء صيغ الأفعال والأسماء المشتقة ، لانكاد نعثر على واو أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة ؛ ففي جميع صيغ الأفعال لانعثر على الواو التي هي من الأصوات الساكنة [يقصد : الصامتة] ، وليست أصلاً من أصول الكلمة إلا في تلك الصيغة التي يسميها الصرفيون القدماء (أَفْعَوْلَ) ، و (أَفْعَوْلٌ) ، وهي صيغة لا ندرى لها أصلاً ، ولم ترد لنا مستعملة لا في القرآن الكريم ، ولا في شعر جاهلي ، ولا أعرف لها نصاً عربياً قديماً ، فهي في رأبي في عداد الأسماء الجامدة .

أما الأسماء المشتقة ، فقد خلت جميعها من واو ، أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة إلا صيغة (فَوَاعِل) في جمع التكسير ، التي اختصت بجمع اسم الفاعل أمثال : (دَوَافِع ، وَمَوَانِع) ، ولكن جموع التكسير من العناصر السامية القديمة التي احتفظت لنا بها اللغة العربية ، دون أخواتها السامية ، فنحن إذن نجهل الكثير من تاريخها ، وتطورها ^(١) .

معنى ما سبق : أن د. أنيس في بحثه التاريخي عن حروف العلة وتطورها ، أغفل الإشارة إلى حروف العلة في الأسماء الجامدة ، والحروف المبنية ؛ لأن اللغوي لا يستطيع أن يميز بصورة قاطعة الحرف الأصلي فيها من الزائد ، لكن اللغوي يستطيع أن يرد كل واو ، أو ياء إلى أصلها الذي اشتقت منه في الأفعال ، باستثناء الصيغتين (أَفْعَوْلَ وَأَفْعَوْلٌ) ، وفي الأسماء المشتقة ، باستثناء صيغة جمع التكسير (فواعل) .

ثم دعانا إلى البحث في أول هذه الحروف ، وكيف يقرب كل منها إلى صوت

(١) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٦ والأصوات اللغوية ٢٣٨ وما بعدها .

لين طويل، وذكر أن «هذا نوع من البحث يمكن أن يسمى الإبدال التاريخي، وينتمي هذا البحث إلى ذلك الفرع اللغوي الذي يسميه الغربيون Etymology»^(١).

أما د. كمال بشر، فقد رفض ما جاء عن الصرفيين العرب في علاجهم لهذه الحروف المعتلة (و. ا. ي) ، والتي رأوا أن لها أصولاً منقلبة عنها، كما هو وارد في علاجهم لها تحت باب الفعلين : الأجوف ، والناقص .

رفض د. بشر ذلك الأصل الذي قال به الصرفيون (للاو والألف والياء) في هذه الأفعال ؛ لأنه «أصل افتراضى متوهم، لا أصل حقيقي، وذلك مانصوا عليه بالفعل . . والذي دعاهم إلى هذا السلوك هو خضوعهم لمنهجهم العام، وهو سيطرة فكرة الأصول على أذهانهم، ومحاولة حشد مختلف الأمثلة تحت قاعدة واحدة، أو تحت نظام واحد من البحث ، فإذا لم تنطبق القاعدة انطباقاً تاماً على بعض الأمثلة ، فإنهم يحاولون إرجاع كل فعل ثلاثي مجرد إلى النموذج الأساسى (ف ع ل) ، فإن وافقت الصيغة الوزن، فيها ونعمت ، والإوجب أن تفسر تفسيراً ما حتى تخضع لهذا الوزن»^(٢).

يرفض د. بشر علاج هذه الأفعال المعتلة، وفقاً لطريقتهم تلك، ويرى أن علاجها يجب أن يسلك طريقاً من اثنين :

- طريق وصفي يعنى بتسجيل الحقائق الموجودة في الصيغة بالفعل، دون تأويل أو افتراض ، ويقول : « في حالتنا هذه سوف نجد أنفسنا في حاجة إلى معونة الدراسات الصوتية، وعن طريق هذه الدراسات سوف نعلم أن (قال) في تركيبها الصوتي تختلف عن (نصر) مثلاً ، فكل منهما له تركيب مقطعي يختلف عن تركيب الآخر ، فقال تركيبها الصوتي هو: / ص ح ح / ص ح / ، أما نصر، فمقاطعها هي : ص ح / ص ح / ص ح / ، فالأولى مكونة من

(١) السابق ١٠٧ .

(٢) د. كمال محمد بشر . دراسات في علم اللغة ٢٤٣ - ٢٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

مقطعين اثنين، والثانية مؤلفة من ثلاثة مقاطع، هذا بالإضافة إلى أن هناك فرقاً في كمية بعض المقاطع (ص ح × ص ح)^(١).

هنا يلزمنا التوقف ؛ لنقول : إن فكرة تحليل مثل تلك الكلمات أو الصيغ وفقاً للمنهج الوصفي، أو وفقاً للمنهج التاريخي الذي افترضه - كما سيأتي - هي فكرة منهجية سليمة في حد ذاتها، لكننا نختلف في تحليلها مع التحليل الذي أورده د. بشر؛ لأنه في تحليله رأى أن ثمة خلافاً مقطعياً كمياً، بل وكيفياً بين كل من : قال ، ونصر، وأرى أن هذه النظرة التحليلية قائمة على فهم مختلف لمكونات المقاطع الصوتية، التي هي اللبنة الأساسية لكل تحليل علمي للكلام العربي، بل والإنساني، وقد سبق لنا شرح كل ذلك في بحثين سابقين لنا^(٢).

فليرجع إليهما من يشاء حول هذه النقطة ؛ لأن التصحيح فيها جوهري! المهم أن د. بشر يقول : إن «قال» مكونة من مقطعتين، و«نصر» مكونة من ثلاثة مقاطع، كما أن كمية المقاطع في «قال» تختلف عنها في «نصر» ، ونحن نقول :

إن إيقاع الكلمتين واحد، أي وزنهما واحد ، وليست «قال» مكونة من مقطعين كما قد يتصور، وليست ثمة فروق كمية بين مكونات «قال» ، ومكونات نصر ، إنما الموجود هي فروق كيفية، لأننا لو نظرنا إلى عناصر اللغة المتحركة والساكنة التي تتكون منها كلمات اللغة، ولو وضعنا في الاعتبار النبر أو الأنبار اللغوية التي تحملها كل كلمة ، لتحفظ لها إيقاعها الصوتي، أي : توازنها الإيقاعي، لاختلفت نظرنا تماماً حول كل ما قيل عن المقاطع القصيرة والطويلة ، المغلقة والمفتوحة؛ فحقيقة الأمر أن قال مكونة من ثلاثة عناصر

(١) السابق : ٢٤٤ .

(٢) انظر هامش ٢١، وهامش ٣٤ .

شأنها شأن « نصر » تماماً ، هذه العناصر هي : ق . أ . ل في : قال ، وهذه العناصر هي : ن . ص . ر في : نصر ، أما النبر اللغوي في الكلمتين ، فيسقط على المقطع الأول فيهما ، أي على (ق) ، وعلى (ن) ، ويشكل هذا المقطع المنبور نبراً أولاً ، نصف الكلمة ، أو الزمن القوي فيها ، يتعاقب مع هذا الزمن القوي زمن ضعيف يساويه تماماً ، لكنه غير منبور ، ليحفظ للكلمة توازنها الصوتي ، هذا الزمن الضعيف في (قال) مكون من عنصرين : (أ . ل) أي الألف الساكنة واللام المحركة بحركة قصيرة ، وكل واحد منها يساوي $\frac{1}{3}$ / نصف وحدة زمن غير منبورة . وفي (نصر) يشكل الزمن الضعيف العنصران : (ص . ر) وكل عنصر يساوي $(\frac{1}{3})$ نصف وحدة زمن غير منبورة أيضاً .

معنى ذلك أن الفعلين متساويان تماماً من الناحية الكمية ، كل من هنالك أن الزمن الضعيف في : « قال » أحد عنصريه ساكن والآخر متحرك ، أما الزمن الضعيف في : « نصر » ، فالعنصران متحركان .

ما يعيننا هو أن د . بشر ، وفقاً لمنهجه في التحليل ، من عدم الاعتداد بالعنصر الساكن ، أو ما نسميه نحن بالمقاطع الساكنة ، قد خرج علينا بنتيجة نختلف معه فيها ، إذ يقول : « إن قال وزنها فال ، وغزا وزنها فعاً ، أما نصر فوزنها فعل »^(١) ، ويقول : « ولاضير من هذا العمل بحال من الأحوال ، إذ هو ممثل للحقيقة الواقعية ، فضلاً عن سهولته ، وتمشيه مع روح المنهج السليم ، فهنا اتبعنا مبدأ (تعدد الأنظمة) في إطار المنهج الوصفي ، وهذا شيء يفرضه الحقائق الناطقة ، فقد رأينا أن قال ، ونصر مثلاً - وإن كانا فعلين ثلاثين مجردين - يختلفان في تركيبهما المقطعي ، وهذا يوجب علينا معاملتهما بطريق مختلف ؛ لأن إخضاعها لقاعدة واحدة ، أو اتباع مبدأ توحد الأنظمة في

(١) السابق : ٢٤٤ .

علاجهما سوف يؤدي إلى نتائج مضطربة معقدة، كما هو الواقع بالفعل في تفسير الصرفيين التقليديين لتصريف هذه الأفعال ، ونحوها « (١) .

أقول : ليس صحيحاً أن كلام د. بشر مثلاً للحقيقة الواقعة؛ لأنه مبني على فهم مختلف لمكونات الكلام العربي، بدليل أنه ناقض نفسه في نفس النص، حين قال : « إن قال ونصر مثلاً فعلان ثلاثيان مجردان » ، معنى ذلك أنه اعتدّ بالألف الساكنة جذراً ثالثاً ، إذن تفسير الصرفيين التقليديين لهذه الأفعال لم يكن خاطئاً كما ادّعى هو .

النقطة الثانية المهمة في كلام د. بشر، موجودة في حديثه عن الطريق الثاني في التحليل، وهو طريق المنهج التاريخي ، الذي يقضى بتتبع تاريخ تلك الصيغ الواردة فيها الواو، أو الياء؛ للكشف عما أصابها من تغير عبر فترات التاريخ .

يقول : « ولنا هنا أن نتساءل : هل أتى على نحو (قال) ، و (غزا) فترة من الزمن كانتا تنطقان فيهما : قَوْلَ ، وَغَزَوَ ، ثم عرض لهما تطور في أصوات العلة أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة ؟ (٢) .

إن مثل هذا التساؤل من د. بشر غير ذي بال ؛ لأنه افتراض لم يقل به أحد، والغريب أنه راح ينقل لنا نصوصاً فيها ألفاظ معتلة بالواو أو الياء، وجاءت الواو أو الياء مصححة فيها، على خلاف من نطقها الذي نعرفه، وننطقها به ؛ ليحاول تأكيد وجود بقايا تاريخية للواو أو الياء المصححتين .

إن السؤال بهذه الصورة يغفل حقائق علمية لا يمكن إنكارها . . . والأصح أن يأتي السؤال على النحو التالي : هل الصورة بالألف في مثل : قال وغزا

(١) السابق : نفس الصفحة .

(٢) السابق : ٢٤٥ .

وأطال . الخ ناشئة عن تحول أصاب حروفاً أخرى صامتة ، أو حروف علة متحركة ، أو ساكنة ؟ وهل ذلك التحول كانت له مبررات صوتية ؛ أو لغوية ، أو عروضية ، أو نحوية ؟ أم أن الصورة بالألف صورة مرادفة لصور أخرى بغير الألف ، وكلتاها مستخدمتان في الكلام العربي ؟ وغير خاف ما بين تساؤل د . بشر وتساؤلنا من اختلاف في المفهوم .

أصحح ذلك ، لأن ابن جنى قد سبقنا جميعاً في تصحيح هذا الاعتقاد الخاطيء ، عندما قال : « هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته وذلك قولنا : الأصل في قام قوم ، وفي باع بيع ، وفي طال طول ، وفي خاف خوف ، ونوم ، وهيب ، وفي شد شد ، وفي استقام استقوم ، وفي يستعين يستعون ، وفي يستعد يستعد . فهذا يؤهم أن هذه الألفاظ ، وما كان نحوها - مما يدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه - قد كان مرةً يقال ، حتى أنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد . قوم زيد ، وكذلك نوم جعفر ، وطول محمد ، وشد أخوك يده ، واستعد الأمير لعدوه . وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه .

وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجئ الصحيح ، ولم يُعلّ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمال وقتاً من الزمان كذلك ، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر»^(١) .

كلام ابن جنى واضح جلي لا لبس فيه ، لأن العرب في أفعالها وأسمائها وصفاتها ، قد استقرت على نطق نهائي لهذه الألفاظ ، رأت فيه الصورة المثلى من الناحية اللفظية ، حيث السهولة المتحققة من تفاعل الأصوات : صوامت

(١) ابن جنى الخصائص ٢٥٦/١ تحقيق محمد على النجار . الناشر : دار الكتاب العربي بدون تاريخ ، ومصور عن ط . دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ وما بعدها .

وحركات، بعضها مع البعض الآخر، في المخارج والصفات، غير عابثة بالجذور التي نشأت عنها تلك الصور النطقية . وهذا ما عبر عنه ابن جني بالإعلال في الحروف المعتلة، فهذه الحروف صورتها المثلى ألا تأتي على الأصل، فإذا حدث وجاء فعل أو اسم أو صفة فيه حرف من حروف العلة مكان فعل صحيح، ولم يعمل، لكان مجيئه على تلك الصوة (غير المستخدمة) في النطق، أي بالتصحيح في حروف العلة.

وأن العرب لم تغير ما استقرت عليه - أي : من إعلال هذه الحروف دائماً - إلا عند الضرورة القصوي؛ كأن تحتاج إلى حرف متحرك مكان حرف ساكن، أو تحتاج إلى حرف تكمل به إيقاع بيت أو تفعيله، فتعود إلى ألفاظها التي يتكون منها بيت الشعر، مثلاً، فتصحح ما أعلت، وترد ما حذفت لالتقاء الساكنين، وهكذا . . . وهذا كلام واضح ومعروف لكل من له دراية بصنيع العرب في أشعارهم ومأثورهم من لغتهم .

فاليبت الذي أورده ابن جني إشارة إلى تلك الضرورة، وهو :

صَدَدْتُ فَأَطَوَّلْتُ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومٌ^(١) .
فلو قال : صَدَدْتُ فَأَطَلْتُ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا . . .

فإن التفعيلة ستتغير من (مفاعيلن) إلى (متفاعل)، وهو تغيير كليل بخروج البيت من البحر الذي صاغ الشاعر قصيدته على إيقاعه .
وكذلك قوله :^(٢) .

تراه ، وقد فات الرُّمَاءُ كَأَنَّهُ : . . أمام الكلابِ ، مُصْنِئُ الخَدِّ أَصْلَمُ
حيث أثبت الشاعر الياء في مصنى وحركها بالضم، ولم يُعلِّها الإعلال

(١) السابق ٢٥٧/١ .

(٢) السابق ٢٥٨/١ .

السابق شرحه : بحذف الياء لاجتماع الأمثال، ثم ادغام الضم في الكسر في صورة مد طويل للكسر، ثم حذف هذا المد الساكن لالتقاء الساكنين.

لأنه لو فعل هذا الإعلال الطبيعي الذي يُفعل بهذه الكلمة في غير الشعر، لتحولت التفعيلة من (فعولن) إلى (فعَلُن) ، وهذا غير مسموح به في حشو هذا البحر الطويل ؛ لأن النبر الإيقاعي Ictus في (فعَلُن) يسقط على فتحة الفاء ، بينما النبر الإيقاعي في (فعُولُن) يسقط على ضمة العين، بمعنى : أن فعَلُن تبدأ بنبر قوى، أما فعُولُن فتبدأ بنبر ضعيف، وشتان بين الاثنتين في إيقاع الشعر العربي القديم . ومن ثمَّ حرَّكها الشاعر على أصلها الجذري للضرورة الإيقاعية .

فإذا كانت ضرورة التخلُّص من التقاء الساكنين تُلزم العربي بحذف الساكن الأول إن كان حرف علة، أو تحريكه إن كان حرفاً صحيحاً ، فإن ضرورة الإيقاع تُلزمه في المقابل بتحريك العلة الساكنة ، ليستقيم له الوزن إذا احتاج إلى ذلك .

رغم كل ذلك ، يرفض د. بشر، ويقول « القول بأن هذه الأمثلة ونحوها من ضرورات الشعر قول لا مُسَوِّغ له »^(١) . بل ، وقوله : « إن هناك عشرات من الأمثلة - من هذا الباب - وردت بالتصحيح لا بالإعلال، في غير ضرورة في الأسماء نحو : الهَيْفَ والحَوْرَ والعَوْرَ »^(٢) ، وأقول :

إن ورود تلك الأمثلة بالتصحيح وليس بالإعلال ، على خلاف من نهج العرب في كلامها، كان يقتضى منه التريث، وإعمال النظر؛ لأن كلمة (الحَوْر) نجد أن أمن اللبس، بل والتنوع الاشتقائي يحكماتها، فاللغة فيها : (الحُوْر العين)، أما الحور بالتصحيح والتحريك، فاستخدمته لـ (حَوْر العينين) وهو

(١) د. بشر. دراسات في علم اللغة ٢٤٥.

(٢) السابق نفس الصفحة .

معنى آخر خلاف الأول ، كما أن اطراد الإعلال فى مثل هذه الكلمة موجود فى اللغة أيضاً ، ففيها الماء الحار والزيت الحار ، ويمكن لنا تتبع كل كلمة معتلة ، وردت بالتصحيح على خلاف الأصل فيها بالاعتلال ، وبيان السر فى مخالفتها .

فكلمة: العور، لو أُعِلَّتْ الأعلال الطبيعية لصارت: العار ، وهى موجودة ومستخدمة فى اللغة ، لكن التحريك هنا اقتضاه وفرضه تنويع الاشتقاق للدلالة على معان مختلفة .

إذن يصبح كلام د. بشر الالى لامعنى له ، بل مغالطة لاتجوز فى هذا الموضوع عندما يقول : « ولسنا ندرى تماماً لماذا ينكر ابن جنى أن يكون لهذه الأبواب ، ونحوها أصول تاريخية ، مع وجود بقايا لهذه الأصول فى الشتر والشعر كليهما »^(١) . لأن ابن جنى لم ينكر ذلك ، بل كلامه واضح وقاطع وصريح ولا يحتمل التأويل ، إنه أنكر أن تكون الكلمة المشتملة على الواو أو الياء ، كانت مستعملة بالتصحيح فى يوم من الأيام ، بدلاً من نفس الكلمة التى أُعِلَّتْ فيها الواو أو الياء ، وبنفس المعنى .

وبالضرورة يبطل قول د. بشر : « أما أن التطور قد لحق هذه الأبواب ونحوها بحيث أصبحت (قَوْلٌ وَعَزْوٌ قَالَ وَعَزَا) دون غيرها ، فذلك أمر يسهل فهمه لو علمنا أن التطور هنا قد لحق أصوات العلة ، وهى أسهل الأصوات قابلية للتطور ، وقد ظل هذا الاتجاه سائراً فى العربية حتى أصاب لهجاتها الحديثة ، كما وقع لنحو : يَوْمٌ وَبَيْتٌ bayt, yawm فصارتا: يَوْمٌ وَبَيْتٌ beet, yoom ، حيث حلت الحركات محل أصوات العلة ، أو ما تسمى أنصاف الحركات »^(٢) .

لأنه استنتاج توصل إليه عبر مقدمات خاطئة ، وهى أن هذه الألفاظ

(١) السابق ٢٤٦ .

(٢) السابق ٢٤٥ .

بالتصحيح فى حروف العلة، كانت منظوقة فى يوم من الأيام، وهو بما لم يحدث ونفاه ابن جنى صراحة، وبتعبير ابن جنى « وليس الأمر كذلك، بل بضده وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه » (راجع نص ابن جنى) لأن تعليل د. بشر فيه مغالطة علمية، لأنه يفترض أن هذه الألفاظ بالتصحيح قد تطورت فى لهجة القاهرة من يوم إلى يوم yoom، ومن بيت إلى بيت beet، وهو ما لم يحدث، فى لهجة القاهرة، ولا فى اللهجة التميمية فلم يحدث أن نطق القاهريون بـ (يَوْم) الفصيحة ولا بـ (بيت) الفصيحة، إنما استخدموا اللفظين وأمثالهما على ما تراه ونسمعه : بالإمالة فيهما . أى لم تعرف اللهجة القاهرية سوى الاستخدام اللهجى فى ألفاظها . بتعبير آخر : لم يحدث أن تطور هذا اللفظ على السنة المصريين من النطق الفصيحة إلى النطق اللهجى، لأن النطق الأخير هو ميل لهجى قاهرى أو مصرى وجدت فيه لهجة القاهرة السهولة التى لم تجدها فى نطق غيره، بل طبعته بطابعها الخاص، بل اطردها فى كل ألفاظها المشابهة لأنه ميل لهجى ولم يحدث أن نطقت بغيره . ويقاس على لهجة القاهرة فى هذا الاتجاه : « اللهجة التميمية التى تصحح ولاتعل نحو مبيوع ومديون ومخيوط ومصوون . . إلى غير ذلك مما قد ينظر إليه على أنه بقية تاريخية لظاهرة أصيلة فى اللغة العربية فى فترة من فترات السحيقة من الزمن » (١) .

لأن نطق اللهجة التميمية ، إنما هو اتجاه لهجى ميزها عن غيرها ، ولم يحدث أن نطق أهلها بغير ذلك ، لنقول إنهم قد انتقلوا بنطقهم من حال إلى حال، أو إن حروف العلة كانت تصحح عندهم فى فترة زمنية وتعلُّ فى فترة زمنية أخرى .

إن إعلال حروف العلة قد أخذت به اللغة الفصيحة منذ أن عُرِفَتْ أو منذ

(١) السابق نفس الصفحة .

أن وصلت آثارها الأدبية إلينا، ولم يحدث أن صُحِّحت ثم أُعلِّت في نطقها، وإذا وجدنا خلاف ذلك علينا أن نبحث عن سر ذلك، من خلال دراسة قوانينها الصرفية والنحوية بل والصوتية، لأن كل خروج على طريقة الفصحى المطردة، كانت له أسبابه وعلله وضروراته وليس الزعم بأنه تحول تاريخي قد أصابها.

نعود إلى د. أنيس فنراه يقرر أن ثمة إبدالاً تاريخياً قد حدث بين الواو والياء من ناحية، وبين كل من النون واللام والميم، وشتان ما بين التعبيرين ! فإبدال د. أنيس قائم بين صورتين منطوقتين، ومستخدمتين في الفصحى، واحدة بحروف العلة : الواو أو الياء، وأخرى بالأصوات الصامتة : اللام، أو الميم، أو النون، والصورتان بمعنى واحد، أي : مترادفتان تماماً، هنا تكون له المشروعية في دعوتنا إلى البحث عن التطور الذي حدث في إحدى الصورتين، وأفضى بها إلى الأخرى. بينما حديث د. بشر عن تطور حدث بين صورة منطوقة بالفعل وأخرى وهمية يُدعى أنها كانت موجودة بل ومنطوقة في يوم من الأيام أو في فترة زمنية سحيقة، لا دليل عليها، لأن مذكره من أدلة مردود عليه، كما أوضحنا.

أما لماذا دعانا د. أنيس إلى هذا البحث، « فلأنه وجد ألفاظاً فصيحة اشترك معناها، ولم يختلف لفظها إلا في أنا نجد مكان الياء، أو الواو منها لأمأ، أو نوناً، أو ميماً »^(١).

خلص د. أنيس إلى أن « اللام والنون والميم تعد من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين، وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين »^(٢).

إذن : احتمال الإبدال بينهما وارد.

بالبحث عما قاله اللغويون عن هذه الحروف نجد أن الميم :

(١) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١١٢ .

(٢) السابق ١٠٧ .

« صوت شفوي أنفي مجهور »^(١) . « لاهو بالشديد ولا بالرخو، بل بما يسمى بالأصوات المتوسطة »^(٢) . بمعنى أن الميم تنتسب إلى مجموعة الأصوات المتوسطة، وهي : ر ل ن م ، وأضافوا إليها العين، وأهم خاصية تميز هذه الأصوات هي : « قوة الوضوح السمعي Sonority ، كما أن هذه الأصوات مجهورة جميعها ، « كما أن الجهر في الميم جهر محايد »^(٣) ؛ إذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة له ، تؤدي دوراً وظيفياً دلاليًا .

معنى ما سبق ، أن الميم بينها وبين الواو والياء شبه في الجهر ، وفي مرور الهواء في حرية ، ودون اعتراض ، لكنه بدلاً من أن يمر من وسط الفم كالواو والياء ، فإن مروره يكون من الأنف، يضاف إلى ما سبق اشتراكها معهما في قوة الوضوح السمعي، فهي شبيهة بالحركات في هذا الملمح، شأنها شأن الواو والياء .

ليس هذا وحده « فالميم مشابهة للواو ، لأنهما من مخرج واحد، وهو الشفة، وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم، فناسبت بغنتها حروف اللين »^(٤) .

ومن ثم ، « تبديل الميم من أربعة أحرف ، وهي : الواو والنون واللام والباء . أما إبدالها من الواو فقولهم : فم ، وأصله : فوه بوزن سَوَط ، فحذفت الهاء تخفيفاً فصار التقدير : فَو ، فلما بقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الميم من الواو، لأنهما شفهيّتان ، وفي الميم هوى في الفم يضارع امتداد الواو »^(٥) .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٥ .

(١) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٣٠ .

(٤) ابن يعيش . شرح المفصل ١٤١/٩ .

(٣) كاتيبو . دروس في علم أصوات العربية ٤٣ .

(٥) ابن جنس . الخصائص ٤١٣/١ - ٤١٤ الهوي : الانفتاح والدوي يُقال : هَوَت الطعنة هُويًا : فتحت

فاها بالدم ، وهوت الأذن : دَوَّت .

وأما إبدالها من اللام، فيروى أن النمر بن تولب حكى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من امبر امصيام في امسفر » يريد : ليس من البر الصيام في السفر ، فأبدل لام المعرفة ميماً ^(١) .

ويقول ابن جنى في إبدال الميم من السنون « وأما ابدال الميم من النون فإن كل نون ساكنة وقعت قبل باء قلبت في اللفظ ميماً ، وذلك نحو : عنبر ، وامرأة شنباء ، وقنبر ، فإذا تحركت أظهرت نحو : شنب ، وعنابر ، وقنابر ، ومنابر وقنابل ، وإنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الباء ، من قبل أن الباء أخت الميم ، وقد أدغمت النون من الميم في نحو : من معك ، ومن محمد ، فلما كانت تدغم النون مع الميم التي هي أخت الباء ، أرادوا إعلالها أيضاً مع الباء ، إذ قد أدغموها في أختها الميم .

ولما كانت الميم التي هي أقرب إلى الباء من النون لم تدغم في الباء في نحو : أقم بكرة ، لاتقول : أقبراً ، ولا في نم بالله نبأ لله ، كانت النون التي هي من الباء أبعد منها من الميم أجدر بأن لايجوز فيها إدغامها في الباء ، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون في الباء ، أعلوها دون إعلال الإدغام؛ فقربوها من الباء ، بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء وهو الميم ، فقالوا: عمبر ، وقميلة ^(٢) .

وحرف اللام بدوره « يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم ، أو من أحدهما ، وهذا هو معنى الجانبية ، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به ، فاللام صوت أسناني لثوي جانبي مجهور ^(٣) .

(١) السابق ٤٢٣/١ وأخرجه البخارى فى كتاب الصوم .

(٢) السابق ٤٢١-٤٢٢ الشنباء : العذبة الفم .

(٣) د . بشر . الأصوات اللغوية ١٢٩ .

وهذا الصوت، بدوره، من الأصوات الشبيهة بالحركات؛ لأن هواءه يخرج حراً طليقاً، لا يحدث احتكاكاً في أثناء خروجه من الفم، كالحركات، إنما هواؤه جانبي.

فإذا كان الهواء مع الميم ليس من وسط الفم، لكن من الأنف، فإنه مع اللام، ليس من وسط الفم أيضاً، لكن من الجانبيين، أو من أحد الجانبيين، ولذلك وضع القدماء اللام ضمن ما أسموه بالأصوات المتوسطة، ذات الوضوح السمعي، ويرى د. أنيس أن « اللام، وبعدها النون، أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية »^(١).

« وهذا الألفون - السابق وصفه - هو أكثر الوفونات هذا الفونيم شيوعاً . . ومدها ٨٠ / ١٢٠ م/ث »^(٢) بمعنى أنه من الصوامت ذات التردد العالي الشبيهة بالحركت، إذا قيس بغيره من الصوامت.

وتتبادل اللام مع الأصوات المتوسطة؛ « وأبدلوا اللام من النون في أصيلان فقالوا : أصيلا »^(٣) قال النابغة :

وقفت فيها أصيلاً أسألها تحييتي جواباً ، وما بالربيع من أحد

بإبدال النون لاما ، والمراد : أصيلاً »^(٤).

وتبادل اللام مع النون أمره واضح، إذ المخرج والصفات واحدة، ولا يختلفان إلا في خروج الهواء من جانبي الفم مع اللام، ومن الأنف مع النون وخروج الهواء من الأنف مع النون يضيف عليها وضوحاً سمعياً أقوى، حيث

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٧ .

(٢) د. سلمان العاني . التشكيل الصوتي في اللغة العربية ٧٧ .

(٣) ابن جنى . سر الصناعة ٣٢١/١ .

(٤) ابن يعيش ١٤٣/٩ الهامش .

غنة « خاصة مع الصوت المشدد، فيهبها نغمة موسيقية مُحِبَّة إلى الأذن العربية »^(١).

ويرى كانتينو أن « اللام بجوار لام أخرى يجوز إبدالها نونا تبايناً »^(٢).
«والعلة فيه - أى فى التباين - نفسية محضة. نظيره الخطأ فى النطق ...
لأن النَّفْس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينة بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ »^(٣).

كما أن اللام يصيها الإدغام، ومعلوم « أن التضعيف Gemination هو إطالة الأصوات المتمادة Continuants، وقفل أطول فى الوقفيات »^(٤) وهو يعنى مضاعفه الصوت المفرد الساكن »^(٥)، «ولذلك يدغم فيه النون نحو قوله (من لدنه) ، وقد يحذفون معها نون الوقاية، كما يحذفونها مع مثلها ، قالوا : (لعلى) كما قالوا (إنى) و (كأنى) »^(٦).

ومن دلائل شيوع اللام فى اللغة العربية، اتخاذهم لها حرفاً للتعريف دون سواها من حروف المعجم، وقد علل ابن جنى للسرفى اختيار اللام حرفاً للتعريف دون سائر الحروف « بأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف فيما بعده، .. ليكون إدغامه دليلاً على شدة اتصاله ، وأقوى منه عليه لو كان ساكناً غير مدغم . فلما أرادوا ادغامه فيما بعده، اعتبروا حروف المعجم - أى تأملوها وأنعموا النظر فيها - فلم يجدوا فيها حرفاً أشد مشاركة لأكثر الحروف من

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٧٢ .

(٢) كانتينو ٧٩ .

(٣) برجشتراسر . التطور النجوى ٣٤ .

(٤) العانى ١١٩ .

(٥) ماريوباي . أسس علم اللغة ١٤٥ .

(٦) ابن يعيش ١٤٣/٩ .

اللام .. فعمدوا إلى اللام ، لأنها تجاور أكثر حروف الفم التي هي معظم الحروف ، ليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما اعتزموا من شدة اتصال حرف التعريف بما عرفه ، فيستدل بذلك على أنه قد نقله عن معنى التنكير إلى معنى التعريف .. وأنهم إنما خصوا اللام التعريف بأول الاسم ، دون آخره من قبل أنهم صانوه ، وشحو عليه ، لحاجتهم إليه ، فجعلوه في موضع لا يحذف فيه حرف صحيح البته .. ذلك الموضع هو أول الكلمة « (١) » .

نخلص مما سبق إلى أن كلاً من اللام والميم فيهما من الصفات ما يجعلها أشباه أصوات اللين ، شأنهما شأن الواو والياء تماماً ، من حيث حرية مرور الهواء ؛ من وسط الفم مع الواو والياء ، ومن الأنف مع الميم ومن جانبي الفم مع اللام ، وكذلك قوة الوضوح السمعي فيهما الناتج عن الجهر بهما ، وزيادة ترددهما إذا قيس بتردد الصوامت الأخرى ، وأخيراً نسبة شيوع استخدامهما في اللغة وإبدالهما بما يجاورهما من أصوات أو إدغامهما فيها شأنهما شأن الواو والياء تماماً .

أما النون : فهي « صوت أنثيانى لثوى أنفى مجهور » (٢) ، بمعنى : أن طرف اللسان يلتقى بأصول الثنايا العليا مع اللثة ، بينما تغلق اللهاة فراغ الفم تماماً ، وينخفض الحنك اللين ؛ ليمح للهواء بالمرور من الأنف ، دون أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، سوى أن تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به . من ثم ، يعدُّ النون صوتاً شبيهاً بالحركات فى حرية مرور الهواء الجهر ، ويختلف عنها فى أن هواءه من الأنف ، وليس ومن وسط الفم كالحركات .

« ولاتنطق النون نطقاً خالصاً - وهو ما يُسمَّى بالإظهار - إلا إذا كانت قبل

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/٣٤٦ - ٣٤٩ .

(٢) د. بشر ١٣٠ .

إحدى الحروف الآتية : الهمزة ، والهاء والحاء ، والعين ، والحاء والغين « (١) ،

معنى ذلك : أن النون « لا تكاد تتأثر بأصوات الحلق حين تجاورها ، وربما كان هذا لبعده مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات » (٢) .

وتتعرض النون الساكنة للإبدال ، والإدغام ، والإخفاء ، لأن الحركة مع النون غالباً ما تحفظها من التأثير بما يجاورها من أصوات ، وهذا الذى يطرأ على النون يسمى : الغنة ، « وهى وسيلة لجأ إليها القراء منذ القدم لإعطاء النون بعض حقها الصوتى مع غير أصوات الحلق ، وليس الغنة إلا إطالة لصوت النون ، مع تردد موسيقى محبب فيها ، فالزمن الذى يستغرقه النطق بالغنة ، هو فى معظم الأحيان ضعف ما تحتاج إليه النون المظهرة » (٣) .

وتدغم النون مع أصوات المجموعة الكبرى ، أى مجموعة أصوات الفم إذا سكنت وتلاها أحد الحروف من مخرجها ، أو من المخرج السابق لها ، أو المخرج التالى لها ، شأنها فى ذلك شأن لام التعريف ، كما أنها تتبادل مع تلك الأصوات التى تشترك معها فى قوة الوضوح السمعى ، والجر ، وحرية مرور الهواء ، مثل اللام والميم .

ويرى ابن جنى « أن النون فى : فعلان فعلى ، نحو : سكران سكري ، وغضبان غضبي ، وولهان وحيران بدل من همزة فعلاء ، نحو : حمراء وصفراء » (٤) . « فإن قيل : فلم أبدلت همزة فعلاء نوناً ؟ وما الذى سهّل ذلك وحمل عليه ؟ فالجواب : أن للنون شبيهاً بحروف اللين قوياً ، لأشياء : منها :

(١) كاتينو ٦٠ .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٨ .

(٣) السابق ٧٠ .

(٤) ابن جنى . سر الصناعة ٤٣٥/١ .

أن الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين، ومنها اجتماعها في
الزيادة معهن، ومعاقبتها لهن في الموضع الواحد من المثال الواحد، وذلك
نحو: شربث وشرابث، وجرنفس وجرافس، وعصنصر وعصيصر، وعرنقصان
وعريقصان^(١) ألا ترى أن النون قد عاقبت الألف والياء فيما ذكرنا.

وقالوا أيضاً: فدوكس، وسرومط، وعميثل، كما قالوا: جخنفل
وفلنقس، وفصلوا بها بين العينين، فقالوا: عقنقل، وعصنصر، وسجنجل،
وهجنجل وعبنبل، كما قالوا: غدودن، وقطوطى، وشجوجى في أحد قولى
سيبويه^(٢) وخفيفد.

وحذفوها أيضاً لالتقاء الساكنين في نحو: (م الآن) في بيت أبى صخر
الهدلى: ^(٣).

كأنهما م الآن لم يتغيراً . . وقد مرّ للدارين من بعدنا عصرٌ .
(أى : من الآن) ، و (لاك اسقنى) في بيت النجاشى الحارثى^(٤) يذكر
فيه ذنباً ، وهو :

(١) الشربث : الغليظ الكفين والرجلين، ومثله الشرابث والجرنفس والجرافس: الضخم الشديد من
الرجال. وعصنصر وعصيصر : هو موضع، وفيه ثلاث لغات: عصنصر وعصيصر وعصوصر
وعرنقصان وعريقصان : نبات .

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ١١١/٢، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٨٦.

الفدوكس : الأسد. السرومط : الطويل . العميثل : الضخم الثقيل .

حجنفل : العظيم الجحفلة ، والجحلفة مشفر البعير . فلنقس : البخيل اللثيم .

عقنقل : الكتب العظيم المتداخل الرمل . سجنجل : المرأة .

هيجنجل : اسم . عبنبل : الضخم الشديد . غدودن : الطويل .

قطوطى : المتبختر . شجوجى : المفرط فى الطول . خفيفد : الخفيف من الظلمان .

(٣) ابن جنى . سر الصناعة ٤٣٩/٢ وانظر فى أشعار الهندليين ٩٥٦ والخزانة ٢٥٨/٣ الشاهد ٢٠٥ بتحقيق
هارون .

(٤) ابن جنى . سر الصناعة ٤٤٠/٢ والكتاب ٩٠/١ والخصائص ٣١٠/١ والأنصاف ٦٨٤/٢ والخزانة

٣٦٧/٤ الشاهد ٨٧٥ .

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل
(أى : ولاكن اسقنى) . و (لم يك الحق) فى بيت حسيل بن عرفة
الأسدى^(١).

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفى بالسرر.
{ أى : لم يكن الحق }

كما حذفوها لذلك فى نحو : غزا القوم، وتعطى ابنك، وتصبوا المرأة.
وجعلوها أيضاً علم الرفع فى نحو : يومان ، ويقومون ، وتقومين، كما
جعلوا الواو والألف علماً له ، فى نحو : أخوك ، وأبوك ، والزيدان
والزيدون .. إلى غير ذلك .

فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة ، وكانت الهمزة قد قلبت
إلى كل واحدة من الألف والياء والنواو ، قلبوها أيضاً إلى الحرف الذى
ضارعهن وهو النون ، للتصرف والانتساع^(٢).

نخلص مما سبق إلى أن حروف الميم واللام والنون فيها من الصفات ما
يجعلها تتشابه بحروف العلة واللين والمد : الواو والياء والألف ، ومن ثم كثر
الإبدال فيما بينها، وبالبحث فى المعجم عن ألفاظ اتحد معناها واختلف لفظها :
مرادفات تامة ، وتركز البحث حول التبادل الحاصل بين حروف العلة الثلاثة
(و.ا.ى) ، وبين حروف (ل.م.ن) فى هذه الألفاظ؛ لتتأكد إن كان ثمة
تطور قد حدث بينها، خاصة أن الصورتين موجودتان ومنطوقتان فى اللغة
العربية الفصيحة، فخرجنا بكم هائل من هذه الأفعال يؤكد أن الإبدال قد
حدث فعلاً بين هذه المواد للأسباب التى ذكرها علماء اللغة القدماء والمحدثون .

(١) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والخصائص ١/ ٩٠ والخزانة ٤/ ٧٢ الشاهد ٧٤٥ .

(٢) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٣٨ - ٤٤٠ .

بل إن هذا الإبدال قد حدث بين تلك الصور وبين نظائرها المشدد وغير
خاف العلاقة بين التشديد وبين تلك الحروف جميعها كما سبق توضيح ذلك .

لكن الدافع إلى هذا الإبدال لم يكن واضحاً تماماً فى كتب علماء اللغفة
الأقدمين؛ لأنهم ركزوا بصفة أساسية على ما بين الصوتين المتبادلين من تشابه
فى الصفات والمخارج. أما علماء اللغفة المحدثون فقد بحثوا فى عوامل التطور
بين الأصوات، وأرجعوها إلى عاملين مهمين، هما : عامل السهولة، وعامل
الشيوع.

بمعنى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس أسهل الأصوات التى لا تحتاج
إلى جهد عضلي، أو مجهود زائد فى نطقها، فيبدل مع الأيام بأصوات لغته
الصعبة نظائرها السهلة، ولاشك أن حروف العلة (و.ا.ي) أسهل من غيرها ؛
لحرية مرور الهواء معها، وجهرها. لكننا لاحظنا خلال عرضنا السابق أن الفرق
بينها وبين كل من : اللام والميم والنون، ليس كبيراً، إذ تمتاز هذه الحروف
الصامتة، بدورها، بأنها أشبه بأصوات اللين فى خصائصها : من حرية مرور
الهواء ، وجهر، بل وعلو وارتفاع ناتج عن زيادة فى نسبة التردد معها إذا
قيست بغيرها من الصوامت الأخرى، بل وناتج عن غنة تصاحبها، أو إدغام
يقويها . . إلخ.

معنى ذلك أن مبدأ السهولة وحده، لم يكن منشوداً لدى من أبدل هذه
الأصوات فى لغته، لأن السهولة متحققة مع حروف العلة، ومع كل من اللام
والميم والنون أيضاً ، ومن ثم يصبح القول بأن الإبدال الحاصل بين هذه الصيغ
سببه السهولة اللفظية، غير كاف ، ولا بد من البحث عن سبب آخر .

ثمة نظرية أخرى تقول : بأن التبادل بين الأصوات قد ينشأ عن شيوع
بعض الأصوات فى الاستخدام، دون غيرها، فيستبدلون بالأصوات التى لا
يشيع استخدامها الأصوات الشائعة الاستخدام، الكثيرة التردد فى صيغهم، لأن

اللفظ لا يشيع على الألسن إلا إذا امتلك صفات تؤهله لذلك، والأصوات السابقة بنوعها تمتلك - ولا شك - كل مقومات هذا الشيوخ.

والناظر في الإحصاء الذي قام به د. على حلمي موسى (١) لدرجة تردد الصوائت وبعض الصوامت في القرآن الكريم يجد أن حروف المد الثلاثة قد ترددت بنسبة ٣٩, ٢٤٪ وأن الحركات الثلاث قد ترددت بنسبة ٦١, ٧٥٪ بمعنى : أن تردد حروف العلة إلى الحركات قد جاء بنسبة ١ : ٣ وهي نسبة صادقة تماماً ؛ لأننا نعلم أن النسيج المقطعي في اللغة العربية لا يسمح بتتابع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة أو ما يشبه الكلمة، إذ لا بد من كسر هذا التتابع الحركي بالمد أو بالسكون مثل : يَتَقَاتَل، كَتَبَ < كَتَّبَتْ وهكذا .

أما الصوامت ، فنجد أن اللام تمثل أعلى نسبة تردد؛ حيث بلغ تردها ١٠, ١٤٪، يليها النون بنسبة ١٠, ١٢٪ ، ثم الميم بنسبة ٦٦, ١٠٪ بمجموع ٨٦, ٣٦٪ بمعنى أن هذه الحروف الثلاثة قد استحوذت على هذه النسبة المرتفعة، أما باقى حروف العربية الخمسة والعشرين فقد كانت نسبتها مجتمعة ١٤, ٦٣٪ وهذا ولا شك يؤكد حقيقة شيوع هذه الأحرف الثلاثة في اللغة العربية، فإذا أضفنا حروف العلة الثلاثة إليها تصبح نسبة شيوعها في الكلام العربي ٢٥, ٦١٪ ، بمعنى أن خمسة حروف تحتل هذه النسبة الشائعة في الكلام العربي، لا بد وأن تتعرض لصنوف شتى من الإدغام والإبدال والحذف والسقوط .. الخ ، وقد شاهدنا كيف أن حروف العلة الأصل فيها هو الإعلال، بينما الشذوذ فيها هو التصحيح أما اللام، فقد اتخذتها العربية حرفاً للتعريف ، ومعلوم أنه يدغم في نصف أصوات اللغة : كل الأصوات التي تخرج من مخرجه ، والأصوات التي تخرج من المخرج السابق لمخرجه، والأصوات التي تخرج من المخرج التالي لمخرجه . ورأيناها تتبادل مع حروف المجموعة الكبرى .. الخ .

(١) انظره في الجدول رقم (٥) في بحث د. محمد امتزوى ٦٤.

كما رأينا الميم تبدل مع الأصوات من مخرجها كالباء والواو والنون وتبدل كذلك مع اللام : حديث الصيام فى السفر .

أما النون فتشبه اللام ، وتزيد للغة فيها .

نخلص مما سبق ، أن النظرية التى تقول : بأن الألفاظ التى تحتوى على لام ، أو ميم ، أو نون ، قد تعرضت أكثر من غيرها لأن تبدل هذه الأصوات بحروف العلة : الواو ، أو الياء هى نظرية لها مايررها من الناحية العلمية ، وأن هذه النظرية وجدت أرضاً خصبة لها فى بعض البيئات العربية ، دون البعض الآخر ، ومن ثم ، حدث لهذه الحروف الإبدال فى تلك البيئات ، ونتج عنه وجود هذه الألفاظ المترادفة باللام ، أو الميم ، أو النون من ناحية والألفاظ بالواو أو الياء (أو ما اعتل منهما) من ناحية أخرى .

أما المرادف لتلك الألفاظ بالتضعيف « فهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، ويغلب على هذه الألفاظ سقوط حركة العين ؛ لأن النبرة على المقطع الأول من الفعل تُضعف عادةً من مدى حركة العين ، وتتفق اللهجات العربية القديمة فى إسقاط هذه الحركة عند تماثل العين واللام . وترجع ظاهرة إسقاط حركة العين فى المضاعف ، بالإضافة إلى تأثير النبرة إلى ثقل تتابع مقطعين قصيرين متماثلين : شَدَد < شَدَّ ، لذلك لم تحتفظ العربية بحركة العين رغم التضعيف إلا فى أفعال قليلة على وزن (فعل) لتمييزها عن البقية ، لأن (فعل) خاص دائماً بالصفات مثل : لبب ، شرر ، حبت ، خفف ، رمم »^(١) .

لأنه من المعروف لغوياً ، أن المقطع المنبور نبراً أولاً ، يصيب المقطع التالى له ، بل والسابق له بالإظلام الصوتى ؛ بمعنى أن حركة المقطع الطويلة تُقصر ، والقصيرة تُسكن ، والساكن يحذف ؟ ففى الفعل : (ردد) يسقط النبر الأولى

(١) البكوش ٩٩ وراجع الزهر ٣٧/٢ .

على الراء، فتسكن الدال الأولى نتيجة لهذا النبر القوي السابق لها، فيلتقى حرفان من نوع واحد، أحدهما ساكن والثاني متحرك فيدغم الساكن في المتحرك ؛ توفيراً للمجهود العضوي، ونطقهما بعملية واحدة بدلاً من عمليتين .

ومن ثمّ ، تتضح العلاقة بين الصيغ المشدّدة، والصيغ المعتلة؛ ففي كلتا الحالتين، تكون الصيغة مكونة من عنصرين، سواء اختفى العنصر الثاني، أو العنصر الثالث، فالنتيجة واحدة ؛ لأن سقوط حرف العلة كما رأينا ناتج إما عن توالي الأمثال، ونشوء المد من الحركتين، أو ناشئ عن حذف أحد المعتلين للثقل عند اجتماع التماثلين أو المتنافرين .

وسقوط عنصر التضعيف ناشئ بدوره عن تماثل العين واللام، وسكون أحدهما بفعل النبر، وإدخاله في العنصر الثالث .

وقد أنعمت النظر في المعجم الوسيط ، حول هذه الأفعال أو الصيغ التي حدث فيها إبدال بين كل من اللام والميم والنون من ناحية، وبين حروف العلة الثلاثة (و. ا. ي) من ناحية أخرى، بل الصيغ المشدّدة التي جاءت مرادفة للنوعين السابقين فخرجت بثبت الكلمات التالية ولا أدعى لها الحصر ، بل هي نسبية ولا شك ، يمكن الإضافة إليها أو الحذف منها ، والله الموفق .

مراجع البحث

- أمنزوى . د. محمد أمنزوى
أشباه الصوائت فى اللغة العربية (نظامها ووظائفها) . مجلة اللسان
العربي . العدد الثامن والأربعون . ديسمبر ١٩٩٩ المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم . مكتب تنسيق التعريب . الرباط .
- الأنبارى . كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد
الأنبارى النحوى . الإنصاف فى مسائل الخلاف (بين النحويين :
البصريين والكوفيين) تحقيق محى الدين عبد الحميد .
المكتبة العصرية . صيدا بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- أنيس . د. إبراهيم أنيس .
الأصوات اللغوية .
الطبعة الخامسة ١٩٧٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .
- بحث فى اشتقاق حروف العلة *مكتبة الأنجلو المصرية*
مجله كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد الثانى ١٩٤٤ . القاهرة .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- پاى . ماريو پاى .
أسس علم اللغة .
ترجمة وتعليق : د. أحمد مختار عمر .
الطبعة الثانية ١٩٨٣ . عالم الكتب ٣٨ش عبد الخالق ثروت القاهرة .
- برجشتراسر .
التطور النحوى .

أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب
مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٢ .

● بشر . د. كمال محمد بشر

الأصوات العربية .

الناشر . مكتبة الشباب ٢٦ ش إسماعيل سري بالمنيرة .

● دراسات في علم اللغة .

دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

● البغدادي . عبد القادر البغدادي .

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .

ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .

وبتحقيق عبد السلام هارون ١٣٨٧ - ١٩٦٧ وما بعدهما . القاهرة .

● البكوش . الطيب البكوش .

التصريف العربي (من خلال علم الأصوات الحديث) .

تقديم : صالح القرمادي . تونس ١٩٧٣ .

الشركة التونسية لفنون الرسم ٢٠ نهج المنهجي - تونس .

● ابن جنى . أبو الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ الخصائص .

بتحقيق : محمد على النجار .

الناشر : دار الكتاب العربي . بدون تاريخ . ط . ثانية .

مصوراً عن ط . دار الكتب المصرية ١٣٧١ - ١٩٥٢ وما بعدها .

- سر صناعة الإعراب .
- دراسة وتحقيق : د. حسن هندراوي .
- دار القلم - دمشق ط . ثانية ١٤١٣ - ١٩٩٣ .
- ديوان الهذليين .
- دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .
- سيويه . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرت ١٨٠ هـ .
- كتاب سيويه .
- تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون .
- دار الجليل - بيروت ط . أولى .
- السيوطي . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
- شرحه وضبطه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى وآخرون .
- دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- العاني . د. سلمان حسن العاني .
- التشكيل الصوتي في العربية (فونولوجيا العربية) .
- ترجمة : د. ياسر الملاح . مراجعة : د. محمود غالي .
- ط . أولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ النادي الأدبي الثقافي . جدة - السعودية .
- عليوة د. عبد الحميد عليوة مسعد .
- اتجاه حديث في دراسة موسيقا الشعر العربي .
- القاهرة ٢٠٠٠ (تحت النشر . مجلة الدراسات اللغوية . جامعة الأمام
- محمد بن سعود) .

إيقاع الشعر العربي بين الكم والكيف .

القاهرة ١٩٩٧ مكتبة القاهرة ٩ ش الصنادقة . القاهرة .

● عمر . د . أحد مختار عمر .

دراسة الصوت اللغوي .

عالم الكتب ١٩٩١ ٣٨ ش عبد الخالق ثروت . القاهرة .

● كاتينو . جان كاتينو .

دروس فى علم أصوات العربية .

نقله إلى العربية : صالح القرماوى . الجامعة التونسية .

نشر : مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦ .

● المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ كتاب المقتضب .

تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ١٣٩٩ هـ .

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى .

● مجمع اللغة العربية .

المعجم الوسيط .

قام بإخراجه : د . إبراهيم أنيس . د . عبد الحلیم منتصر . عطية

الصوالحى محمد خلف الله أحمد . الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

● مصلوح . د . سعد مصلوح .

دراسة السمع والكلام .

عالم الكتب ١٩٨٠ .

● ابن يعيش . الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى ت ٦٤٣ هـ - شرح المفصل .

عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتبنى - القاهرة .